فتحي الابيارى

لحظات حب

نادرة

" رواية فى أقاصيص "

لاشك أن مواجهة النفس هى من أشد المعارك ضراوة وقسوة .. ولذلك ينبغى لمن يحاول أن يتصدى لنفسه (الأمارة بالسوء أحيانا) أن يتسلح بحب الله خالق القلوب وغارس قبسة الحب فيها لمن أراد له النعيم فى هذه الدنيا .. الدنية ، لأنها مليئة بنفوس شريرة ، وأخرى حاسدة ، وأخرى حاقدة .. ولكن المحبين المؤمنين والمتسلحين بحب الله .. ينسفون تلك الخزعبلات ..

يامن أرسلك الله إلى .. وأرسلنى الله إليك فى لحظة عمر لا تنسى .. وأيام قضيناها فى بيوته .. وبين أحب الناس العابدين له .

لست بروفة كتاب .. يا أنا .. التى عثرت عليها فى صحراء الحياة ، وأنا تائة طوال ٤٦ عاما ، أبحث عن نبع الحب .. والحب الإلهى الحقيقى .

إنها كلمات لن أكتبها بعد الآن ، ولن أكررها ولكن عليك أن تكرريها كلما أحاطتك سهام الغدر ممن حولك .

إننى لن أتخلى عن هدية الله لى ، ولو كانت حياتى ثمنا لها .. لأن هدية الله لن تتكرر فى أيام عمرى القصيرة ..

وعليك يامن تعشقين رب الحياة ، أن تكونى حريصة كل الحرص على ما وهبك الله من نعمة ، وهدية .. وهى قلبى الذى منحك الله سر مفتاحه .

أما ما يشقينى فهو أننى أخشى أن يحدث لى مكروه يحرمك منى ، قبل أن أجعل أيامك ، أجمل ، وأحلى ، وأسعد الثوانى التى مرت بك .

ولكنك ابنة كلمة .. ولدت فى صحراء الزمن ، وبعثت من جديد يوم ٦ يوليو ، فى أطهر بيت نفيش ، لنفيسة العلم عاشقة الله رب الوجود وعثرت على " الأنا " يوم ٣ أغسطس ..

وارتبط قلبانا بزفاف روحى .. يا توأم قلبى وروحى الى الأبد .. بالقرآن .. والخاتم .. وآياته الكريمة . وروعة الصيام .. وزغاريد الملائكة .. وإفطار بعد حرمان .. والتحام الأصابع فى عشق يزلزل الدنيا من روعته . فاحرصى على قلبك ، وكبدك .. وهما " أنا " بكل ضراوة الأم الخائفة على وليدها الذى وهبه الله لها . لا تضعفى أمام التوسلات ، والإغراءات والمخاوف .. والتحذيرات . كلها اختبارات من الله لك ، فى انتظار أن يسمع منك كلمة الحب .. والشكر ." وقل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا " .

ولكن كل ما أطلب من الله العلى القدير ، أن تكون ايامنا ، يازوجتى أمام الله وصحابته " وأوليائه .. هنية لا تحاولى أن تكدرى لحظاتها .. وأن تكونى نورا أعبر به بقية مشوار الطريق .. فى كتابة روائع ما اخترته من رحلة ال ٤٦ وأن تكونى أما وحبيبة .. ورفيقة للمولود الجديد الذى بعث يوم الميلاد .. وأن تستعدى من الآن .. لكى

نزور حبيبنا .. حبيب الرحمن .. محمد .. رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيته .. ونطوف حول بيت الله .. ولتباركنا السماء .. وتظلل حبنا من لهيب الحياة .. آمين .. آمين يارب العالمين ..

*** *** ***

تحرك " نادر " بسيارته فى الصباح من الجراج .. كعادته كل يوم ذاهبا الى عمله بالإذاعة .. ولكن هذا الصباح يختلف عن كل صباح .. فاليوم حار من أيام أغسطس .. وهو أيضا يوم عيد ميلاده الذى يحاول دائما أن يختلى فيه مع نفسه يستعيد مشوار الأيام والسنين الماضية .. واللحظات الحلوة .. والمرة .. والضائعة التى تسربت من عمره . وسار بالسيارة ببطء .. والألم يعتصر قلبه كلما عاد يوم مولده من كل عام .. ولكنه فى تلك اللحظة .. كان يبتلع عصارة حزن غريب فلم يسمع كلمة " كل سنة وانت طيب " .. كما كان يسمعها .. من إبنه ، وابنته وزوجته .. وكل من حوله . فقد سافرت زوجته الى أمها لتستريح من المشاحنات التى بينهما بين فترات قصيرة ، حتى أصبحت من روتينيات الحياة الأرنبية التى تفترس أيام العمر ، وأخذت معها ابنتها الصغيرة . وابنه الذى جاوز الخامسة عشر بقليل .. يحلم بأساطير المستقبل ..

وانعطف بسيارته بجوار " قصر الطاهرة " متجها الى طريق " السواح " بعيدا عن زحمة السارات فى وسط المدينة ثم الى كورنيش النيل والطريق أمامه خال وصوت الموسيقى المنبعثة من راديو سيارته .. يهدئ من إنفعالات ودوامات المشاعر التى تتصارع داخل نفسه.

وسبحت خواطره .. فوق نهر النيل .. وتراءت له صورة اللقاء الأسطورى الذى التحم به مع " فريدة " .. حيث كان ذاهبا كعادته دائما الى الإسكندرية " بالبولمان الصحراوى " .. وفى ذلك اليوم وقبل أن تتحرك السيارة بدقائق .. صعدت فتاة ، وكان مقعدها بجواره ، ووقف ليفسح لها الطريق .. لتجلس على مقعدها القريب من النافذة ، ولم يدر هو .. ولم تدر هى .. ان تلك اللحظة .. كانت لحظة ميلاهما . وتحركت السيارة .. عبر الطريق الصحراوى .. فى رحلة قصيرة طوال ثلاث ساعات .. كانت كافية لإلتحام إشعاعاتهما السوية ، وأفكارهما الهائمة ونفسيهما أيضا . وتفجرت الشرارة بكلمة صغيرة جدا .. عادية جدا .. كلمة عابرة .. جاء بعدها الطوفان..

- هل تعجبك هذه المَجلة
- يعنى .
- للتسلية .
- لأقتل بها ملل السفر .
- السفر .. حياة .
- فى بعض الأحيان .
- على الأقل يتحدث فيها الإنسان مع نفسه .
- اننى افعل هذا .. أحيانا .
- أن مشاغل الحياة تنسينا أنفسنا ذاتيا ..
- ولذلك ينبغى أن نهرب منها .. لنتحاور مع ذاتنا .
- وما القيمة .
- لكى نعرف الى أين نسير .
- وهل يستطيع الإنسان أن يحدد مصيره .

- عليه أن يحاول .
- وما الفائدة .
- يكفيه أن يحاول .. لأنه إنسان .. وليس إلها .
- وما جدوى المحاولة وهو يعلم أنها فاشلة .
- لابد من الإصرار على المحاولة .. لأن الإنسان خلق ليقاوم.
- وهو يعلم أن النتيجة..هى الفشل .
- ليس بهذه الصورة .
- كيف ..؟
- ماذا يفعل إنسان سقط فى النيل .. وجرفه تيار عنيف .
- سيقاوم .
- لقد قلتها أنت .. سيقاوم .. ويقاوم .. لأن غريزة حب البقاء تدفعه الى المقاومة .
- وإذا انهار .
- انتهى ..
- هل هذه حياتنا ..؟
- هذه اللعبة هى التى نحياها .. ولها شروطها .
- أى شروط ..
- أننا نعلم .. أن هناك لحظة عدم .. لا نعرف موعدها .. أليس كذلك
- إنها حكمة الله ..
- نعم .. إنها حكمة الله .. ولكن علينا أن نقاوم تيار الحياة العنيف بقوة سحرية
- ماهى . ؟

- الحب .
- هل هناك حب فى هذه الحياة .. ؟
- مثل وجود الله .. هل تؤمنين بالله ..
- بالتأكيد .. إنه فى أعماقى .. ولولا إيمانى به .. لما كنت جالسة هنا .. فقد مات والدى ووالدتى أيضا خلال هذه الشهور .
- وهل تعتقدين أن إرتداء اللون الأسود . دليل على الحزن .؟
- تقاليد ..
- وأى تقاليد .. ان الحزن الحقيقى .. يختزنه القلب .. او الكبد.
- ولماذا الكبد .؟
- لأنه الجندى المجهول .. إنه أعظم غدة فى الإنسان .
- غريبة .!!!
- كنت مريضا به .. الزمنى الفراش أربعة أشهر
- لابأس عليك ..
- شكرا ..
- هل ترين صورتى فى المجلة ..؟
- أين ؟؟
- فى هذه الصفحة .. أننى مؤلف تمثيليات بالإذاعة .
- إنها تختلف عنك .. كنت أتخيل أنك من البلاد العربية ..
- من أجل لحيتى .
- نعم .
- طالت .. أثناء مرضى .. ومازلت فى فترة النقاهة
- لابأس عليك .

- الحمد لله . نسيت أن أقول لك .. ان اللون الأبيض فى اليونان مثلا.. هو علامة الحزن ومع ذلك فاللون .. لايعبر عن الحزن .. ولكنه فى أعماق النفس ..
- معك حق ..
- أرجو الا أكون قد أثقلت عليك ..
- لا يافندم .. أنا اتشرف بمعرفتك
- نادر ..
- فريدة ..
- أذاهبة للأسكندرية للتصييف .
- إننى مدسة وذاهبة للإشتراك فى مؤتمر للتدريب ..
- أهلا بك فى بلدى ..
- إسكندرانى ؟
- كلى اسكندرية .
- يقولون عن الإسكندرانية ..
- ليس كل أصابعك مثل بعضها ..
- وأنت ؟
- من القاهرة .
- بينى وبينها صراع أبدى ..
- كيف ؟
- كل شئ متحرك .. فيها .. اذاعة ..صحافة .. تليفزيون .. حكومة..
- لهذا هاجرت ..

- اضطررت لهذا .. وتركت والدتى وحيدة فى الإسكندرية .. ولهذا أزورها بين الحين والحين .. وكلما غطتنى أتربة القاهرة .. وضاقت نفسى .. أهرع إلى بحر الإسكندرية ..أغسل فيه همومى ..
- ليست القاهرة كئيبة كما تتصور ..
- لم أقل إنها كئيبة .. ولكنها مريرة .. كل لحظة حافلة بالصراع .. إذا هدأت لحظة .. فوجئت بألغام تحت قدميك ..
- فى بعض الأحيان ..
- بالنسبة لى .. كل الأحيان .. حتى وأنا نائم ..

وابتسمت ، ونظر اليها لأول مرة ، والتقت عيناهما ، وجذبته عيناها الخضراوان إلى قاع أعماقها ، وأحس .. بالراحة تسرى فى أنحاء نفسه .. ولمس شائبةً الحزن تعلو قسمات وجهها .. ولكنها اختفت عندما شاعت البسمة على ثغرها الدقيق .. الممتلئ ..

- لى كلمة صغيرة ..
- تفضل .
- أراك حزينة .
- دائما .
- هذه اللعبة لا تحتمل الحزن .. لأن وجودنا .. هو الحزن نفسه .. والنهاية لا نعرف عنها شيئا .. اليس كذلك ..
- يعنى ..
- إذن علينا أن نبتسم .. ونحاول أن نفرح بقدر ما نستطيع .. وأن ننافس الحمار فى السعادة .. وضحكت ..
- وما شأن الحمار والسعادة ..

- لأنـه لا يفكر فـى المجهول .. ولا يشـغل بالـه .. وفـى رأيـى أنـه من أسعد المخلوقات لولا أن سلط الله عليه الإنسان .
- وضحكا .. بينما السيارة تطوى الزمن بعجلاتها .. فى الصحراء.

ووجد (نـادر) نفسـه يبتسـم .. وهـو يسـتعيد صـورة ذلـك اللقـاء الأسطورى .. وتـتهادى سيارتـه بحذاء كورنـيش النـيل .. ولمح من تشير اليه .. وأوقف سيارته .. ونظر فى المرآة وانتابته الدهشة .. لقد كانت " فريدة " بثوبها الأزرق زرقة السماء .. والبحر .. ما الذى جاء بها هنا .. ورآها .. وهى تتقدم نحو السيارة .. وفتح لها الباب الذى بجواره .

- صباح الخير ..
- صباح الخير ..
- كل سنة وانت طيب .. وربنا يحقق لك امنياتك ..
- وانت ايضا ..

وتحـرك بسـيارته .. وتوقفـت الكلمـات فـى فمـه ، ونظـرت إلـيه والفرحة تقفز فـى عينـيها ، وقلبها يـرقص من السعادة . فقد حققت شيئا كانـت تحلم بـه ، ولكنها رأت عينيه تلمعان من الدموع التى تحجرت فيها ، والسيارة تنطلق كالصاروخ بين عشرات السيارات ، وعربات الكارو .. فخشيت أن يحدث له مكروه ..

- نـادر .. نـادر ..
- نعم ..
- ممكن نقف لحظة بجوار الكورنيش ..
- وهو كذلك ..

- ألست سعيدا ..؟
- عندما أراك .. تسرى فى السعادة ..
- لكنك لم تبتسم كعادتك .. لا تحرمنى من ابتسامتك الدائمة .. إلى أين رحلت .. ؟
- بعيدا .. بعيدا .. عجيب هذا الزمان ..
- ماذا حدث ؟
- أننى لا أحتفل بيوم مولدى .. ودائما أعطى كل من حولى ما استطيع أن أقدمه فى ذلك اليوم .. أما هذا الصباح .. فلم أسمع كلمة .. من الذين عاشوا معى السنين الطويلة .. أول كلمة حلوة اسمعها كانت منك ..
- كل سنة وانت طيب وعقبال ألف عام ..
- ألف عام .. هذا عقاب
- أرجو أن تقبل هذه الأشياء ..
- ما هذا ؟
- ميدالية باسمك .
- وما هذه الزجاجة الصغيرة
- لتنتعش بها ..

وفتحت الزجاجة .. ووضعت فى كفيها قليلا منها .. وطيبته .. واستنشق الرائحة ..

- رائعة .. منعشة .. لم استعمل مثلها من قبل .
- أرجو أن تعجبك ..
- كيف لا تعجبنى .. الهدية التى بعثها الله الىَ ..

- نادر .. حقيقة أن شهرا وأكثر قد مر على لقائنا .. ولكن كل يوم كان يمر .. كأنه عام وأكثر .. لا أدرى ماذا حدث لى .. لا أستطيع أن افكر فيما يحدث بيننا ..
- إنها إرادة الله ..
- لقد بعثت فى الحياة ..
- أننى آسف يافريدة .. لقد شغلتنى لحظة كآبة بسبب يوم ميلادى .. ولكننى أحب أن أقول لك .. مبروك ..
- شكرا .. لماذا ؟
- لأنك خلعت اللون الأسود ..كان لدى إحساس بأنك سوف تخلعين هذا السواد .. وإلى الأبد .. مهما حدث .. أما هذا اللون السماوى .. لون البحر .. والسماء فهما من الألوان التى تعشقها نفسى ..
- دائما .. واثق فى نفسك ..
- إنها منحة من الله .. أن يمنح الإنسان شفافية خاصة . وأن يلهمه القوة على تحمل واقعة أن كان مريرا ..
- لا تكن متشائما فى هذا اليوم .. لقد أرسلك الله الى لتنزع من نفسى كراهيتى للناس . والعالم .. ولنفسى أيضا .. لا أنسى ما فعلته بى يوم ميلادى ..
- لم أفعل شيئا..
- اننى لن أنسى ذلك حتى آخر لحظة من حياتى .. كنت يتيمة .. فقيرة من الناس التائهين فى دوامات حياتهم .. وأنت .. أنت رغم ما لديك من مسئوليات كبيرة .. جعلتنى أمتلك الدنيا بك .. أحببت اخوتى .. الناس .. حتى التراب .. من اجلك .. لم يحدث أن احتفل احد بعيد

ميلادى .. التورتة الصغيرة .. والشمعة .. والورد .. والإحتفال الخاص .. ونحن جالسين بجوار النيل .. تغنى لى أغنية عيد الميلاد ..

- لم أفعل شيئا .. انها الهامات من رب القلوب اذى جمعنا فى لحظة ما .. لم افكر فى شئ .. كل شئ كان عفويا .. أليس كذلك..
- حقيقة كان كل شئ عفويا .. لقد أرسلك الله يانادر .. فى لحظة .. كنت أنوى فيها نسف فريدة المحافظة على القيم .. والمثل .. وتعاليم رب الوجود ..
- وهل انت راضية .. لأن الله أرسلنى اليك ..
- إننى لا أكاد اترك السجود .. شكرا لله ..
- إن حياتنا ملك لخالقها .. ونحن .. الذين نكدر انفسنا ..
- يارب لا تكدر صفونا ..
- آمين ..
- الى أين .. ؟
- الى حبيبتنا ..
- قطعا .. انها الحمام الذى أغسل فيها نفسى من شوائب الدنيا ..

وانطلقت السيارة .. وبها قلبان يترنمان بحب الله ..

* * *

وفى شارع مجرى العيون ، إنحرفت السيارة يسارا ، الى حيث العالم الآخر .. عالم الآخرة .. عالم يسكنه الصامتون الى أن تحين الساعة ، بينما يهتك صمتهم الأحياء .. بأقدامهم .. وصراخهم .. وسارت السيارة ببطء .. وعند الجامع النفيس .. توقفت السيارة .. وهرع اليهما احد الباعة ..

- بركة من كريمة الدارين للست .
- وهو كذلك .
- إنها أجمل هدية يابك .. مصحف فضه ..
- اعطنى هذا المصحف الصغير .. وهذه السلسلة
- وهذا الخاتم يابيه .. انه بركه ..
- اعطنى خاتمين ..
- ربنا لا يحرمك من الست يابيه ..

ووسط البخور .. وزغاريد الزائرين .. وهمسات الذين يدعون ربهم لكى يفرج عن كربهم .. وقفا خاشعين أمام مقام كريمة الدارين .. يتمتمان بآيات القرآن الكريم ز. وظهرهما للحائط .. بينما انتابت فريدة رعشة هزت كيانها .. فلم تحتمل روعة الموقف .. فإنسابت دموعها على خديها فى صمت . والزائرون يمرون أمامهما ..كل منهم جاء ليغسل نفسه فى هذا الحمام الروحى ، ويستنجد برب القلوب أن يزيل همه ، وأن يفرج كربه ، وأن يحقق أمانيه .. وفى المحراب .. وقف نادر يصل لله حمدا .. وشكرا .. بينما جلست فريدة بجوار المحراب تحاول أن تقرأ فى سورة يس .. والدموع تغرق عينيها .. من تزاحم الآلام التى مرت بها فى مشوار حياتها ومن روعة الموقف الذى سلب منها كل تفكير .. الا من لغة الدموع الصامتة .. وهى من أسرار لغة الأرواح ..

وانتهى نادر من صلاته .. وجلس بجوار فريدة ..وحولهما عشرات الهائمين فى حب الله ، الساجدين ، والقائمين .. والطائفين . ولمح نادر تلك الدموع المنسابة على خدى فريدة .. ولمح نادر تلك

الدموع المنسابة على خدى فريدة .. فمسحهما ـ بأصابعه ، وابتسمت له فريدة ..

- لا أحتمل .. هذه الروعة ..
- اننا ضيوف الرحمن ..
- الحمد لله ..
- وصائمون أيضا .
- ارجو أن تكون قد استرحت ..
- وانت معى ..
- الحمد لله ..
- هذا الخاتم الملئ بحب الله .. أضعه فى اصبعك ..
- نادر ..
- انها لحظة زفاف نادرة .
- هذا فوق الإحتمال..
- هل تقبلينى زوجا ..
- نادر ..
- إننى قبلتك زوجة لى .. ضعى هذا الخاتم فى اصبعى ..

وانطلقت من احدى الزائرات .. زغرودة فرحة .. وترددت زغاريد الأخريات ..

- كأنهم يشاركوننا .. حفلنا .. شاهدتك كريمة الدارين . وكل الزائرين .. ضيوفنا ..
- أحلامك تشدنى اليك بعنف ..

- انها ليست أحلاما .. انها حقيقة بعيدة عن كل القيود.. والسلاسل .. اين حقيبتك ..
- بجوارى ..
- اعطنى مفكرتك ..
- ماذا ستفعل .. ؟
- سأكتب بعض الخواطر.. انها لحظة الهية .. لزفاف ابدى مدى الحياة..
- ونظرت اليه ز. وهو يكتب .. واستنشقت انفاسه .. ودقات قلبها ترقص حول كل كلمة يكتبها ..

" روعة هدايا الله .. وسورة يس .. والقرآن - وخاتم التصاق الروح بالروح ..

يارب يامن خلقتنى انعم بحبك ..

وحب الذى تحبه ..

والذى وهبته لقلبى ..

فى رحاب بيت من بيوتك الطاهرة : لكريمة الدارين ..

فى صباح غردت فيه العصافير .. وهفهفت روحانا بحبك عقدت زفافنا الأبدى .. بملائكتك .. وشاهدتك الفقيهة التائبة .. فلا تجعل للهم طريقا لنا ، واحرسنا من كل شر عين حاسدة .. واتمم التصاقنا الأبدى بعد أن التصقت روحانا الى الأبد يارب العالمين .. يارب العشق والحب والخلود "

والتقطت القلم منه وأخذت تسطر فى مفكرتها تلك النبضات :

" يا أحلى الكلمات أجيبى

يا ارق النسمات أجيبى

ياشعاع الشمس الحانى

ياقمرى .. نجمتى .. وردتى.. قطتى ..

تعالوا .. احضروا .. شاهدوا ..

زفافا لم يحدث من قبل ..

حفل عرس شهوده الصالحون .

على أنغام حفيف الشجر .. وهديل الحمام ..

حدثينى ليلى ..

أزفتك الصحراء مثلى ..

اشاركتك الزميلات عرسك ..

قم ياقيس وتعلم ..

خلدت لهذابك ..

و.. وأنا لهنائى

سرت هائما .. تبكى .. تصرخ .. تتألم ..وأنا .. اضحك .. ارقص .. أغنى .. "

زغاريد من الزائرات .. ودعوات من الذين هدتهم دوامات الدنيا .. يارب .. ياالله ياكريم .. يارب المحتاجين .. والجميع خاشعون يتمتمون بذكر الله .. ورائحة البخور .. والمسك .. ونسمات الهواء .. تنعش المتهالكين ..

وفريدة .. تترجم نبضاتها .. ونادر ممسك بمسبحته الغالية التى أهدتها له يوم جاء بها الى المقام النفيس لأول مرة فى عيد ميلادها .. يذكر الله .. يترنم بحمده ..

" ترنيمة الحب التى عزفتها لك الملائكة .
انشودة الإبتهالات التى غناها لك البسطاء
فرحة القلب .. وضحكة العين ..
تلاحم الأيدى .. فى عناق طاهر ..

كتبنا اسمينا على هذا الفرع الوليد لشجرة الحياة
فورب الحب الذى جمعنا
وبكل الساعات التى مرت كنسمات لوردة تفتحت ليومنا
هذا فى بيتك الطاهر .. جلسنا .. لا .. بل طرنا ..
حلقنا فوق قمم التاريخ "

- رائعة نبضاتك يافريدة .. يا أنا
- أرجوك يا نادر .. لا احتمل كل هذا ..
- هل رأيت الله ..
- نعم .. فى كل مكان ..
- كيف ؟
- أحس بنعمه ..
- ولكننى رأيت الله .. كثيرا .. كثيرا ..
- لا أفهم ..
- رأيته .. عندما ارسلك الى فى تلك اللحظة الأسطورية .. ورأيته عندما أحسست انك تهت منى فى الزحام .. ولم أستطع أن أجدك

فذهبت الـى مكتبى .. حزينا .. يتيما .. ينزف قلبى مـن ألـم الضياع وهرعت إلى كتابه لتستكين نفسى الحائرة .. المضطربة .. ورفعت رأسى .. لأجدك أمامى .. كيف عرفت أننى سأكون فى مكتبى قد أكون فى مكان آخر.. كيف ..

- الرادار ..
- اذن .. فليس هناك مايسمونه بالصدفة .. كما حدث صباح اليوم..
- كيف ؟
- اننى كنت انوى أن أزورك فى العمل .. وكنت أفكر فيك ..
- وإذا بى أجدك تلوحين لى ..
- كنت ذاهبة للعمل ..
- كلا .. لقد تلاحمت اشعاعاتنا .. بارادة الله .. والتقينا لكى نصلى هنا .. اليس كذلك ..
- أن تفكيرى .. متوقف .. لا أدرى .. ماذا حدث لى .. وأنا التى احلل كل شئ .. واناقش كل شئ .. عاجزة الآن عن التفكير .. حتى الكلمات التى ادونها فى مفكرتى بدأت تتمرد على ..
- نسيت .. أريد أن اقرأها ..
- ليس الآن ..
- ولم لا ..
- الإصرار .. فى دمك ..
- ليس الآن .. ولكن إذا وافقت ..
- انها .. وأنا .. لك .. حقيقة .. اصبحت انت كل مالى فى هذه الحياة ..
- أنا بابا .. وماما .. و .. و ..

فوق ما احتمل ..

وتصفح نادر .. مفكرة نبضات فريدة .. واحتضنت عيناه .. حروف النبضات ..

أنت لا تعلم أن لى حاسة تقرأ ما خلف الكلمات ..

وما تداريه الأنفس عامدة ..

حقا .. إن ما حدث فاق ما كانت تصبو له نفس تخطت كل حواجز العلاقات البشرية ..

افتتحنا معا طريقا .. لم يسبقنا اليه احد ..

حقا .. كان من أجمل أيام حياتى .. انسانى ما سببته لى من قبل دون أن تدرى ..

سألتك موعدا تنسى فيه ما جعلتك الأيام تعتاده أردت أن انزعك من روتين عشت فيه عمرك .. أن أعود بك الى ايام الصبا المبكر..

عندما نتصرف وكأننا على حق ..

ونملك الدنيابأسرها ..

ولكنك .. ابيت ..

شعرت أنك استنكرت

لقد آلمتنى .. علمت أن مرساة سفينتك لم يحن ميعاد رفعها بعد ..
وما كنت ابغى سوى إسعادك مثلما فعلت معى ..

اردت أن اقول لك مرحبا بك فى دنياى ..

أقولها ..بقلبى .. بعينى .. بلسانى .. بكل السعادة التى احسها
بقربك ..

تعزفها لك ضحكات كل السعداء على الأرض ..

يغنيها لك كل العاشقين الين ولدوا قبلنا

يزينها ورود اجلت تفتحها ليوم ميلادك .. أن تضاء الشمعة
اضاءتها لى فى ميلادى ..

حتى توجد مولدا بسفينة .. وليس بعمرنا .. هذا ماقصدت..

قدرى ..

لاتلومنى .. فما تعودت أن أخفى بين ضلوعى شيئا ..

لاتلومنى .. لا أستطيع أن أدارى شعاعا خرج من قلبى قاصدك ..
وعاد مكسور الخاطر ..
لاتلومنى .. على ما كتبت ..
فقد أسعدتنى ..
وبخلت على لكى أسعدك ..

***

والتصقت نبضاته .. بتلك النبضات المكتوبة .. التى عبرت فى لحظات عصيبة مرت بها فريدة ـ عندما كان مسافرا إلى الإسكندرية .. وتأخر فى العودة ..

كنت أستمع الى واعدتنا .. وهى تغنى " أنساك ياسلام " ووجدت من أتحدث معه عنك طول اليوم وأنا أحكى عنك وعنى حتى جاءتنى تلك المكالمة ..

يقولون أنه ينبغى على أن أحضر للتسجيل . . لأنك غير موجود .. ولم تأت يوم الخميس .. ولا بد من الحضور يوم السبت .. ليتها لم تأت .. وليت الأسلاك لم تحمل لى ما حملت ما هذا القلق الشديد .. ماذا أفعل ..؟

إن شر البلية ما يضحك ..

هل أضحك على موقفى .. أم على عجائب القدر ..

ماذا أفعل ..؟

أأذهب إليه عند وصوله ..

أأخبره بما حدث حتى يكون أقدر على الموقف ..

أأجنبه حيرة قد يقع فيها من مفاجأة السؤال ..

وجاء بعض الأقارب ..

لا أريد أحدا من الناس أو الأهل ..

أريد أن أهرع إليك حيث تكون ..

لقد حال القدر دون ذهابى هى حكمة لم أعلمها بعد يا ترى ما الذى حدث عنده فى المنزل هل هى زوبعة وتنفض إلى أين تطور الموقف أأتصل به ويحدث ما يحدث ليكن .. يكفى أن أطمئن عليه ..

ما الذى يحدث ياربى أكاد أجن يارب الهمنى الصبر ..

ما العمل .. كيف أتصرف .. لماذا لم يأت إلى الآن ..

ما الذى أخره .. هل حدث له مكروه .. هل مرض .. هل .. هل .. هل..

وسوسة الشيطان تهدنى .. زادنى الإتصال بك قلقا .. وألما هل فعلت الصواب .. أم أخطأت .. أين عقلى ليسيطر على مايحدث لى .. إنفعالاتى واضحة الإهتزاز ماذا يحدث إذا لم أجده .. يارب ..

ألم أكن فى غنى عن هذا الم يكفك يا زمنى ما أنا فيه ألم يكن ينقصنى سوى هذا القلق القاتل .. رحماك بى ..

لا .. لا .. لا أحتمل مثل هذا العذاب لا .. لن استمر فى المضى معه مجرد كلمة .. رجتنى .. قلبت حياتى ..

لم أكد أسعد بينى وبين نفسى حتى بخلت على الحياة بتلك السويعات ماذا يحدث لى لو استمر اكثر من هذا ضربات الفكر فى رأسى .. افقدتنى صوابى .. رأسى تكاد تتحطم وقلبى يئن أنينا متصلا الآن فقط .. أتمنى زائرا رغم كراهيتى للزائرين .. ونلكن زائرى هذا يحمل لى منفذا مما يحدث لى ليتك تأتى الآن .. لتريحنى مما أنا فيه .. للحظة .. لثانية ..

. . .

. . .

سرت إليك .. وكأنى كائن ما يبحث له عن وجود بين قاع عاش فيه متعبا وقمة يريد الوصول إليها كى يستريح .. ينبوعك المتدفق يكاد يغرقنى فى متاهات لم أتعود على سخاء الأيام بل لم أتعود مجرد عطاء مثلك أنا أعطى لمجرد العطاء عشت شمعة للآخرين ..

كتبنا إسمينا على هذا الفرع الوليد لشجرة الحياة فورب الحب الذى جمعنا أتعهد برعايتك أروه بحنانك أحمه من ضربات القدر ..

***

مازالت دعوات الطائفين .. وبكائهم أحيانا .. وصوت رجل يتلو آيات القرآن الكريم .. تحلق فى المكان .. وكأنها موسيقى خاصة تريح القلوب العطشى لليقين .. والأرواح الهائمة التى تعبت من دوامات أتربة الحياة ..

والتفت نادر إلى فريدة .. قائلا :

- حقا إن رعاية الله تحرسنى من أجلك
- يارب يحرسك .. ويشفيك ..
- هل تعرفين ماذا حدث .. وأنا قادم بالسيارة من الإسكندرية
- أخاف عليك من السفر لوحدك ..
- لقد انقطع سير المروحة .. وكنت قرب طنطا ..
- كما كنت أحس بقلبى ..

لم يهمنى ما حدث .. بقدر ما انزعجت من انك سوف تنتظرين .. ولا تعرفين أين أنا .. وسيلغى الحديث .. وهو أول حديث لك فى الإذاعة .. لتسمعه الدنيا ..

- لايهمنى الحديث .. ولا الدنيا ... حياتى أنت يا نادر .

والتفت نادر إلى فريدة .. قائلا :

- حقا إن رعاية الله تحرسنى من أجلك
- يارب يحرسك .. ويشفيك ..
- هل تعرفين ماذا حدث .. وأنا قادم بالسيارة من الإسكندرية
- أخاف عليك من السفر لوحدك ..
- لقد انقطع سير المروحة .. وكنت قرب طنطا ..
- كما كنت أحس بقلبى ..
- لم يهمنى ما حدث .. بقدر ما انزعجت من انك سوف تنتظرين .. ولا تعرفين أين أنا .. وسيلغى الحديث .. وهو أول حديث لك فى الإذاعة .. لتسمعه الدنيا ..
- لايهمنى الحديث .. ولا الدنيا .. حياتى أنت يا نادر ..
- إن الله يحرسنى .. من أجل قلبك الطاهر ..
- يارب يحرسك .. ويحقق أمانيك ..
- إن الله مجيب الدعوات .. فى بيته الطاهر هذا ..

وبعينين بللتها دموع التوبة .. والشكر .. والحمد لله .. راح يقرأ فى المفكرة .. تلك الكلمات .. رأيت الله فى حبى ..

أى كلمات لها مقدرة التعبير وأى بيان يصف ما حدث لى .. إن الكلمات عاجزة عن أن تصف ما مررت به .. دهرا .. مر على فى يوم قفزت كل ثانية حتى أصبحت سنة فى لحظة .. فقدت فيها رجاحة العقل ،

واتزان العاطفة .. حملت الأوهام كلها فوق رأسى ولم أعرف ..أين .. ومتى أصفها سرت والخطوات ثقيلة .. وكأن الأض تسير من تحتى للخلف .. كيف أذهب لموعدنا .. ولا أجده ماذا حدث له .. لقد أبى النوم أن يحضر لى .. لفترة واحدة .. وبزغ الفجر أمامى .. بعد ليل طال .. أأذهب إليه الآن .. ولكن ليس هذا بميعادنا .. سأنتظر .. حتى يأتى موعدنا .. ربما بكرت دقيقة فلا أجده .. تكون هى لحظة الجنون .. ها أنذا ارتدى ملابسى .. لا أخفى هذه الهالات السوداء .. لا .. لن يرانى .. مسهدة العينين .. لا بد أن يرانى ضاحكة ..

انه شعاع الأمل الذ ى تسرب إلى حجتى ليطمنننى يارب . . ليس المهم أنا .. المهم هو .. أن يكون بخير سرت إلى موعدنا .. والخطوات .. ما اثقلها .. لابد من عبور نهرنا الخالد حتى اصل اليه هذا ثانى اتوبيس .. يرحل من مرساه وأنا اقف خائفة من الوصول الى البر الثانى .. خائفة أن تطأ قدمى الأرض .. وتميد من تحتى ..

أن ترتقى قدمى سلالم الصعود لأجدنى لم أصعد بدأت عيون الناس تلحظنى ..

لماذا لا تركب .. وتعبر ..

لماذا تقف هكذا .. تنظر الى الماء .. وكأنها تناجى الله من خلال عظمة النيل ..

عقارب الساعة تجاوزت الميعاد بنصف ساعة ..

ليكن .. لابد من الوصول الى هناك ..

وليفعل الله مايريد بى طاقة الإحتمال أوشكت على النفاذ ..

وبدأ الأتوبيس الرابع يتحرك الى مكاننا .. ولم اشعر بسيره ولا بسلالم الصعود .. كل ما شعرت به .. أن يدا تدفعنى ..

تربت على كتفى ..

وهمسا دائرا فى أذنى .. أن أطمئننى ..

و.. رأيت الله فى حبى وجدت السيارة تقف فى انتظارى غطت وجهها بوشاح .. ابيض ..

لتحميه من شعاعات اوهامى المخزنة ..

وكطفل نائم فى مهده نامت كل أحزانى ..

ورأيته أمامى ..

وبكى القلب شكرا لله ..

وخشيت أن يسمع صوت بكائى ..

يارب .. لو عرف مكانته ..

لحمدك بعدد انفاسى .. وأنفاسه ..

وولدت من جديد .. حين احتضننى بقلبه .. وبعينيه .. ثم جعلنى أتكلم الى الدنيا.. من فوق الأثير ..

وراح نـادر يتصـفح المفكـرة .. تحتضـن عيـناه نبضـات فـريدة الـتى خلدتهـا تلـك الكلمـات الصـادقة ، والمعبرة عن احلـى .. وأغلـى المشـاعر الدفيـنة .. بحلوهـا.. ومـرها .. وخوفهـا وفـرحها ، وشـكها .. ويقيـنها .. وكل نبضـاتها تتجه فـى الـنهاية الـى حضن القلب الكبير .. خالق الحب .. والوجود .. والحياة وفـى صفحة .. كانت نبضاتها مترجمة بعنوان " قمة الحب الصافى .. هبة رب الحياة .. تقول النبضات " ..

" لا تـدرى كـم آلمتـنى تلـك الـنظرة الحزيـنة الـتى أطلـت مـن عيـنيك أحسست ساعتها كأن يدا من فولاذ اعتصرت قلبى ..

وددت لو حميتك منها .. ولو أدفع عمرى ثمنا لولا خوفى من خالقة ..

لأحتويتك فـى صـدرى كـأم تحمـى وليدها من مجهول افزعه أدفع عنك كل مـا يؤلمـك تمنين أن ابكـى بـدلا مـنك أن أرفـع عنك ما يحزنك تمنت أن تقف عجلة الزمن عن الدوران .

حـتى أرى البسـمة تعـود لوجهـك أحسسـت سـاعتها بـتفاهة الحـياة والمجتمع ..

ولماذا لا أستطيع أن أزيل عذابك ..

وقبل كل هذا ..

لماذا التقينا الآن ..؟؟ " .

وتصفح نادر صفحة أخرى من مذكرات فريدة ، ودقات قلبه تسبح بحمد الله ، تشكره على هذه النعمة التى وهبها الله له ، قلب فريدة الطاهر .. لينتشله من غبار الحياة التى عاشها مصارعا .. مقاتلا .. شرسا بلا رحمة ، بلا هوادة ، بلا لحظة راحة .. إلى أن سقط فى دوامة صفراء الكبد ، وكانت كبوة عنيفة لفرس طائر .. يصول ويجول .. بلا توقف .. وكانت لحظة التوقف الإضطرارية . . عملية جراحية قاسية داخل النفس ، وحسابات الزمن .. ومراجعة مشوار رحلة السادسة والأربعين عاما .. وقرأ :

النهار طويل ، والليل أطول فى بعادك ..

كلما حاولت الهروب من التفكيرفيك .. زدت قربا منك ..

وتفكيرا فيك أكثر ..

واليوم منذ أن بدأ يومى وجدتنى أدعو اليك .. حتى جاء المساء .. وذهبت فى جولة مع بعض صديقاتى وأقربائى .. وكنت أعرف أن الليل طويل ، ومهما تجولت فلن آخذ من ليلى إلا اوله فقط ، لذلك ذهبت ووجدتنى امام نفيسة العلم ، فقرأت لها الفاتحة ، وقرأ من معى كذلك ، ثم مررت على قلعة حبنا فوجدتنى ادعو لك بطول العمر ، والصحة ، وكلما حادثونى أحسوا اننى بعيدة عن واقعهم .

ومن فوق أرض لم تطأها اقدامنا من قبل ، ومن أعلى قمة فى بلدى دعوت لك .

يارب اعطه الصحة واشفيه ..

يارب ان كان فى العمر بقية اجمعنا فى الحلال ..

يارب اسعده وبارك فيه ..

على هذه الأرض التى احضرها لأول مرة فى حياتى من على قمة المقطم .

وفى المساء حملت القمر رسالة دون أن أدرى ..

وجدتنى أرسلها لك .. حيثما تكون ..

وكأننى لم أخرج من منزلى إلا لهذه الرسالة ..

رسالة ارسلها قلبى اليك ..

يارب أمنحه الصحة وأتمم عليه الشفاء ..

يارب إن كان فى العمر بقية .. اجمعنا فى حضن رضاك ..

وحبك .. فى الحلال ..

يارب أسعده .. وبارك فيه ..

على هذه الأرض التى أحضرها لأول مرة فى حياتى ..

من على قمة المقطم ..

فى المساء .. حملت القمر رسالة دون أن أدرى ..

وجدتنى ارسلها لك .. حيثما تكون ..

وكأننى لم أخرج من منزلى إلا لهذه الرسالة ..

رسالة ارسلها قلبى إليك ..

وفى صفحة أخرى .. التصق بنبضاتها وهى تقول :

كم كان جميلا يومى هذا

كنت التلميذة وانت الأستاذ ..

تعلمنى الكلمات الأجنبية .. وقواعد الكلمات ..

وانت معلمى فى الكبر ..

حبا بدأ منذ الصغر ..

هل حقا عشت حياة من قبل ..

لا أعتقد ..

هل أنت من تملك تلك الأعوام ..

علامتها روحان تسيران معك على الدرب

نسيت أعوامى ..

نسيت حتى أيامى ..

نسيت أصحابى .. أنجابى .. وكل أحلامى ..

نسيت حتى طعامى ..

لا أتذكر الا لقاءك النبيل ..

ففيه تحقيق آمالى ..

فيه الإحساس بالأمانى

وفيه أنت .. وأنت كل مالى ..

كنت أعلم أنك ستتصل بى

كنت أعلم انك تحس بشوقى اليك

كنت أعلم أن المسافات مهما طالت تقربنا

كنت أعلم أن تناسخ ارواحنا جاء عبر الأسلاك ...

...

إن العاطفة والإحساس لا تقاس بالزمن

لم يوجد من قبل مقياس للمشاعر

وهذا ما حدث لى ..

ففى سويعات من حياتى معك

ولدت عملاقه ..

قفزت قبل أن تحبو ..

وغنت قبل أن تتكلم النطق ..

برعم السعادة النامى فى حياتى تلقى اليوم أكبر جرعة ماء ..

تفتحت اوراقه على أمنية غالية تربعت فى قلبى ..

تحميها من أشعة الزمن الحارقة ..

فى تلك الربوة العالية فوق أحزان الماضى ..

تمنيت أن يجمُعنا معا كوخ صغير ..

نبنيه معا .. طوبة أحلام .. وطوبة أمانى ..

تسليحه حبنا يحمينا من سهام الآخرين ..

نزرع حوله ورودا طالما تمنيت زرعها ..

ألوان الحب الزاهى تنجو فى حديقة حفرنا احواضها ..

فى ليالى طالما سهرنا فيها مع ضوء القمر الساطع

ستائر نسيان الماضى أسدلتها فى حجرتنا ..

كى اعطيك رحيق حياتى غذاء لقلبك

كل أحلامى باتت انت فارسها

احلام اليقظة أدور حواليك

حتى نبتت بذور الشك فى يومنا

وأنا أزرعها حتى تراها وتفكر جيدا ..

لقد أصبحنا شلالين

يشق كل واحد منهما طريقة للوصول للآخر .

حتى اذا امتزجت مياههما

لاتستطيع الأحجار منع سريانهما

بذورك لم تنم بعد

ثقة فى سلامة طليقى

أما بذورى انا فقد وضعتها كى تخبرك

تنتشلك من أحلام ربما استغرقتك

من أمانى ربما طارت فى السماء

فجرى ذلك الحديث بيننا

وخاتمته كانت قولا مأثورا لديك

"ابقو استنونا انتو "

كانت فريدة جالسة بجوار نادر .. أمام شاهد السيدة نفيسة ، وقد ارتدت طرحة بيضاء . وتنظر الى فريد .. وهو يطالع نبضات قلبها ، عندما تختلى بنفسها فى بيتها ، وهى تعيش مع اختها ، الطالبة فى احدى المعاهد ، ومع أخيها الذى يذاكر للحصول على الثانوية العامة ، بعد وفاة والدها ووالدتها معا خلال ستة أشهر ، وكانت تعيش كالهائمة فى الحياة ، وتنظر اليها بمنظار اسود ، فأختها الكبيرة المتزوجة سافرت مع زوجها وأولادها إلى احدى البلاد العربية ، للعمل هناك ، وتساعدهم ببعض المال . وقد أصبحوا يتامى .. اما فريدة فهى تعمل فى احدى المدارس كمشرفة اجتماعية . وظلت تنظر الى نادر بعينيها العسليتين الغريبة الألوان ، وهو ما زال يتصفح نبضات قلبها التى تسجلها فى المفكرة الزرقاء التى اهداها لها ، لكى تسجل لحظات حبهما النادرة ، وتعبر عن مشاعرها الدفينة التى استيقظت وعادت الى الحياة عندما التقت بنادر فى الأتوبيس الصحراوى وهى ذاهبة الى الأسكندرية فى دورة تدريبية ، وكان القدر قد اراد أن يزيل الهم والحزن من حياتها ، بلقائها بنادر الذى يعمل بالإذاعة ، وكان ذاهبا ليرى أمه .. وهو وحيدها واضطر الى أن يسافر الى القاهرة .. للعمل .. فكان يتردد عليها ليراها ويطمئن عليها ، ويرتشف الحنان الأصيل من قلبها ، ليعود مرة اخرى إلى صراعات الحياة .

والتقت عينا نادر بنبضات قلب فريدة وهى تسجل فى مفكرتها الزرقاء ، عندما سافر الى الأسكندرية لزيارة أمه .. فقرأ وهى تقول :

" أنت لا تعلم أنى أراك

اقولها لك من هنا .. كل رحلة وانت طيب ..

يالا بختك السعيد
ستجلس فى طريقنا
تستعيد ذكريات اول لقاء لنا
تحج دون أن تصحبنى ..
تتراءى لك الصحراء ..
كأم حنون تفتح ذراعيها لابن غائب
عائد للنبع الصادق .. ولكن
بدون توأمة ..!!
إنى أراك
قلبى يجلس بجوارك يحدثك ..
ياتوأم النفس .. ياغالى ..
يارحَالا لمهد صباك وشبابك ..
إنى إلى جوارك أحدثك ..
أحميك بحبى .. بقلبى .. بذراعى ..
فلتذهب لخميلة الحب الرائعة ..
ولتعلم انك عائد لخمية حب أروع
خميلتان تتنافسان فى حبك ..

وقد كتبت فريدة هذه الخواطر الساعة الرابعة بعد الظهر . ولكنها عادت لتسجل نبضات قلبها فى الساعة الواحدة صباحا من نفس اليوم ، فكتبت تقول :

أول ليلة لك بين ذكرياتك وامك الحنون .. .. أحسست بدبيب فى قلبى .. بدأت دقات الحب تطرق بابى .. نعم .. اليوم شعرت بهذا .. لأننى

بدأت اغار من ذهابك الى الثغر .. أغار من اطلالك ولا أغار من واقعك . وسرحت فى وحدتى وانت معى .. نتحدث .. نضحك .. تأكل طعامى وتشاركنى غذائى ..

وانساب الى سمعى ارق الكلمات من الراديو الصغير الذى أهديته لى لنسمع معا وأعدتنا ام كلثوم ووجدتها تغنى لى أغنية " أنا فى انتظارك " وأنا اضحك لأن صوتى أخذ يعلو وينخفض مع الكلمات . وشعرت بكل كلمة موجهة لى من قلبك قبل صوتك . وكرهت المسافات ..

جسدى مقيد بقوانين .. أن أعيش مع اخوتى الصغار وفى مجتمعهم .. وروحى تلازمك .. تهيم معك وحواليك .. أعيش معهم جسدا بلا روح .. ومعك أنتِ .. الروح والقلب والنفس .

وانساب الآن الى سمعى صوت أم كلثوم للمرة الثانية فى يوم واحد .. " الحب كده .. وصال ودلال .. ورضا وخصام " اللهم ابعد عن طريقنا الخصام .. واجعل ايامنا وصال ، ولياليناا دلال .. وحياتنا رضا .. يارب العالمين .. آمين ... !!

أطفأت انوار الشقة كلها حتى تضاء بنور وجهك الجبيب وأن تسمع معى .. واحببت وحدتى وشعرت بالسعادة تطوقنى ثم توجهت الى مفكرتى أدون فيها سعادتى . ولكن أخرجت من هذه الصلاة الروحية عنوة لحضور عيد ميلاد جارنا الصغير وذهبت بعد أن استأذنتك .. وأعلم أنك وافقت .. ولكننى اغتظت .. كيف تتركنى أذهب واتركك لوحدك ، ولكنك امام الإلحاح وافقت .

وذهبت وبدأ الحفل ، وبدأت فى الإندماج معهم وأراد احد الجيران أن يتصور معى ، فوجدتنى أخبره أن هذا لايحدث لأننى على عصمة رجل وهو يزعل لو عرف بذلك . وصمت .. من أين جاء هذا الصوت ، وكيف جرؤ على الحديث هكذا علنا امام الجميع .. وتساؤلوا ضاحكين أين زوجك ومتى حدث ذلك ؟ .. ومن خلف ظهورنا . وضحكت لأنى وجدتك امامى تمسك بيدى ، تشكرنى بعينيك ، واعتذرت لك ، فلم أكن أقصد قول هذا الكلام ، ولكن سمعته خرج من أعماقى يدافع عن تصرفات جيرانى الضاحكة ، يخبرنى انك بجوارى يزود عنى كل شطحات النسيان الوحيد ، واستمر الجيران فى مداعباتهم .. تارة بالكاميرا .. وتارة بالطعام وهم لا يعلمون أنك أنت الذى تداعبنى ، وانا اضحك أضحك من أعماقى .. وسرت عدوى من الضحك السعيد المرح للجميع ، ووجدتهم يقولون .. لولا وجودك لما احسسنا بالعيد .. ولايعلمون أن العيد الحقيقى اول أيامه فى قلبى هو اليوم .. وجعلتهم يشاركوننى عيدى .. وعلمت أن السماء قد أقامت لى الحفل حتى تطمئننى انها تعلم أن اليوم ولد الحب فى قلبى ، وتقيم لى حفلا لم تقمه لأحد .. حفلا تحركت فيها العرائس لتخدمنى وأكون أنا نجمته وصاحبته..

حمدا لك يارب العالمين

حمدا يعجز لسانى عن قوله ..

فما أحسه وأشعر به .. نابع من حبى لك ..

يارب اشكرك .. وأشكر نعمتك التى انعمتها علي .. فلم يقم لى أى حفل من قبل .. أروع من حفل ميلاد حبى سخرت لى كل هؤلاء حتى يشاركونى سعادتى .. ونبضات قلبى تعزف لحن السعادة التى اردتها لى .

فاجأنى بالحفل بعد نهاية ميعادنا الثانى وكأنى كنت أهيئ نفسى لحفل وميعاد أروع حفل جاء خصيصا ليقول لى :

ميلاد حبك اليوم .. أروع من ميلاد إنسان لم يعرف الحب قلبه .. كونى أنت صاحبة الحفل .. فأنت الأحق حقا .. أنت أحق ..

هو حفلى .. فلا ذهب لأرتدى ملابس الفرح.. واصفف شعرى بتسريحة الربيع .. وفى عيد ميلاده الأول سأدعوكم أنا .. واخبركم به .. ستكونون مدعويه لأنكم أول من احتفلتم به دون أن تعلموا .. إنكم اداة القدر لحفلى .

فما بدا حفل من قبل الساعة العاشرة مساء .. إلا حفلى أنا ..

حبيب قلبى .. وقلبى معاه
بحبه فى رضاه وجفاه
اوريه الملام بالعين .. ولكن ع الرضا ناوى

عدت من الحفل .. لاكتب لك ما حدث .. وكانت الساعة الواحدة صباحا .. ومن سعادتى ونشوتى .. طارالنوم من عينى .. ربما تكون نائما . او فتصبح على خير ان لم تكن نائما لا أريد أن أكف عن الكتاب .. أريد أن أتكلم .. وأتكلم .. فأنا لا أكتب دائما .. إلا وأنا أتخيل اننى أتحدث معك .. ياترى .. ماذا تفعل الآن ..؟

يارب تكون قد استرحت نفسيا .. ومعنويا بوجودك بجوار امك .. لأن نعيم الدنيا الحقيقى هو وجودك بصحة جيدة .. وقد أصبحت صحتك

أمانـة استأمنك عليها .. فحافظ علـى الأمانـة .. لأن ربنا سوف يحاسبك عليها ..

حافظ عليها أغلى من عينيك .. لا أحتمل أن أرى من خلالهما أنة الم .. اعطيك عينى وقلبى وصحتى .. مقابل وعدك ..

اوعدنى أن تعتنى لى بك .. فأنت مالى .. وتقول أم كلثوم
هذه الدنيا كتاب انت فيه الفكر
هذ ه الدنيا ليال انت فيها العمى
هذه الدنيا عيون انت فيها البصر
هذه الدنيا سماء انت فيها القمر

اقسم لك أنـى مـا فكرت فى الكتابة .. لأنك مالى وقد جاءت كلمات ام لـثوم فـى بـرنامج مـا يطلبه المستمعون .. وبذلك تكون مقدرتـى علـى الكلام اقل بكثير مما يحدث ..

ربما يكون الغيب حلوا ..
إنما الحاضر أحلى ..

لابد أن أقوم لأصلى .. وأدعو لك .. حتى تعود لى والى عالمك .. أكثر صبرا .. وحبا .. وتحملا ..

كانت فريدة تتمتع بالنظر إلى نادر وهو يتابع قراءة نبضات قلبها فـى المفكرة الزرقاء ، وتتأمل ابتسامته ، وعلامات دهشته من الكلمات التى حاولت أن تعبر بها عن خلجات نفسها ، واهتزازات مشاعرها ، بينما يتعلق بعض زوار السيدة نفيسة بالشاهد المقام ويبتهلون الى الله

لكى يحقق احلامهم ، وآمالهم ، ويزيح الكرب عن نفوسهم ، وتنظر اليهم .. هى الأخرى .. وتبتهل الى الله لكى يسعدها مع نادر .. الهدية التى أرسلها الله لها ، لكى ينقذها من مرارة الألم فى فقدان امها ووالدها خلال ستة أشهر .. وتصفح نادر نبضات قلبها فى اليوم التالى لما كتبته وقرأ :

أخيرا .. عرفت سبب صحوى وسهرى الليل
علشان ماليش غيرك
أيوجد لى مكان بين أحمالك
فى نفس الطريق .. ليلة ميلادك ..
سرت .. تذكرت .. عشت .. حلمت ..
تمنيت وجودك فى عالم أطوءه لأول مرة
مجنونة أنا .. اربطك بكل ما هو حدث ..
العقد الذى اهديته لى بحوارى على الوسادة
طيفك لم يتركنى .. فرض على النظر اليك وحدك
العالم حولى .. كله أنت
كل الزغاريد التى تملأ المكان .. تعبيرا لوجودك
وفرحة للقائك
بسمتى وسعت المكان
ضحكتى ملأت الأسماع
نشوتى بقربك طيفا
فاقت نشوتى بأحلى حقيقة ..

انفض الجميع من حولى لرؤية عرس قائم .. مجرد طيفك يقينى عن افراح الدنيا اى سعادة تلك لو أنت بجوارى .

كلمات الإحساس الصادق
وبلاغة التعبير .. والكلمة المكتوبة
لايعبران عما احسه
لم يعرفا مثل هذا الشعور من قبل ..
فرا قبل اعلان افلاسهما
فما احتاجه لا يستطيعان نقله اليك

ملحوظة : على فكرة استمعت الى واعدتنا وهى تشدو فى المساء .." أنساك ياسلام " وفى اغنية السهرة " رق الحبيب " ..

الله اكبر .. الله أكبر ..

وانطلق صوت المؤذن ليعلن صلاة الظهر . فاغلق نادر المفكرة الزرقاء ، وقال لفريدة..

- هيا بنا لنصلى .. ثم نذهب الى زميلى سعيد قويدر فى المقطم لنرى .. ماذا فعل .. لكى يعثر لنا على شقة .. خاصة وهو رئيس جمعية المقطم للإسكان ..
- يارب ..

وقامت فريدة وهى تغطى رأسها بغطاء أبيض .. لكى تنضم الى باقى السيدات فى مكانهم المخصص لهن .. لتدعو الله أن يحرس حبهما .. وأن يهئ لهما .. عش الحب .. الذى طالما بحثا عنه .. فى مساكن شارع الهرم وفى أماكن أخرى ..

المزلقان

وصعدت السيارة بأقصى سرعها قمة المقطم ، ومرت بجامع الجيوشى ، وانعطفت يسارا صاعدة الطريق الضيق ، بين الصخور ، وقالت فريدة.. وهى تحتضن نادر بين جفنيها ، فقد عاد من سفرته القصيرة خارج القاهرة :

- هدى السرعة .. من فضلك ..

- وكيف نلحق بقرص الشمس .. قبل أن يختفى ..؟

- يكفى انك بجانبى ..

- وهو كذلك ؟

وانعطفت السيارة بين الممرات الى أن وصلت الى مكانهما المعهود .. فى نصف الدائرة الصغيرة .. وبدت القاهرة كلها تحت اعينهما .. القلعة جامع ابن طولون والسيدة نفيسة والإمام الشافعى .. وعلى مرمى البصر .. الأهرامات .. وعين الصيرة .. والبرج وبرج التليفزيون والسلطان حسن والفسطاط مشهد بانورامى .. يسحر الأفئدة العاشقة .. وعلى طول طريق كورنيش المقطم وقفت مجموعات من السيارات .. تحمل داخلها العشاق والمحبين .. والهاربين من عيون الفضوليين .. وبعض العابثين والعابثات ايضا ..

وخرج نادر من السيارة .. وفتح الشنطة الخلفية .. ليخرج الطعام .. والشراب .. قطع من الجبن .. و(ترمس) شاى .. وعلب من عصير الجوافة

والمانجو .. والخبز .. وعلبة صغيرة بها قطع من اللحم .. والبطاطس .. وأغلق شنطة السيارة .. قائلا:

- هيا .. نعد طعام الفطار .. فالشمس على وشك الغروب ..

- لست جائعة ..

- ينبغى للصائمين .. أن يجلسوا الى الطعام .. قبل الإفطار ..

- انه اروع افطار ..

- سيحقق الله امنياتنا قريبا .. ونكون فى عشنا ..

- إن شاء الله ..

وجلس نادر فوق السور الحديدى ، يتأمل بانوراما الغروب بينما انهمكت (فريدة) فى اعداد بعض الساندوتشات الصغيرة ثم اقتربت من نادر .. لتستمتع بقرص .. الشمس .. وهو يختفى خلف السحب المتكونة من الدخان لمصانع الطوب القريبى من الفسطاط .. وتحت سفح المقطم .. كانت الحركة الصاخبة المنبعثة من " البلدوزرات " التى تمهد الأرض .. لإقامة مبان جديدة..

وقال نادر :

- اخيرا . بدأوا يفكرون فى الصحراء .. والصخر ..

- من الذى سوف يسكن فى هذا المكان ..

- انظرى .. هنا .. وهناك .. ملايين الشقق .. بين الأموات .. ومع ذلك لا نجد شقة ..

- فلنحمد الله ..

- اننى احمده على كل شئ ..

- ان كـل مشـروع فـيه الخيرللكثيريـن . انظـر ان العمـال بـدأوا ينصرفون . انتهى عملهم الشاق ..

- انهم يعرقون ويغسلون الرمال بعرقهم .. وآخرون يسلبون هذا العرق ويحولونه إلى ملايين ..

- ماقيمة الملايين مع التعاسة .. المهم أن نكون قانعين ..

- معك حق ، وليس كل الحق ،، هيا بنا نفطر ..

- خذ نصف هذا الساندوتش ..

- فلنبدأ بعصير الجوافة ..

وأمسك نادر بعلبة العصير وفتحها .. وقدمها لفريدة وتمتم : " اللهم لك صمت وعلى رزقك افطرت، فاغفر لى ، أنه لايغفر الذنوب إلا أنت " ..

وارتشفت فريدة بعض العصير ثم قدمت الباقى لنادر ..

- لن يتصور الذين حولنا اننا كنا صائمين .

- لاشأن لنا بهم

كانـا يلـتقطان بعض الطعام كعصفورين طليقين فوق القمة وتلألأت القاهرة بالأنوارفى كل مكان .. وكانت لوحة ساحرة موشاة بلؤلؤ من النور .

وضحكا واقتربت فريدة من الطعام ، وأخذت ساندوتشا آخر .. وقسمته ، وناولت نادرا جزءا منه .. وسقطت .. قطعة من الخبز فوق الرمال .. لكن صابرين التصقت به صائحة ؟

- الكلب قادم ..

- تخافى وانت معى ..

- ولكنه قادم ..

- انه وديع .. وربما جائع .. لنطعمه ..

- اننى خائفة سأدخل السيارة ..

- كما تريدين

- سنتناول الشاى

- هل تشربين الشاى بمفردك ؟

- لا أستطيع ..

ودار نـادر حول السيارة ، وأطعم الكلب الضال ودخل السيارة ، وفتح الراديو ليستمعا الى رسول قلبيهما .. فى أية أغنية تترجم أحاسيسهمافى تلك اللحظة ، ولكن صوت صراخ الأطفال الذين كانوا مع أصحاب السيارة القريبة منهما قد شرخ صمت الهدوء العجيب .. ولا على ترنيمات

اللحن الذى بدأ يدغدغ احاسيسهما المتلهفة كل الى الآخر .. واقترب منهما الرجل صاحب الجلباب المتسخ .. برمال المقطم .. والشعر المنفوش .. وكأنه من أصحاب اهل الكهف .. وأعطاه نادربعض السجائر وقال هامسا لفريدة :

- لقد جاء روبنسون كروز المقطم .. وسيمكث مع الناس .. ما رأيك فى جولة بالأقدام ، والقمر بدأ يتسلق سحب الأفق ..؟

وراحا يتجولان الهوينى وقد أحاطت بذراعها وسط انادر وكأ،ها تخشى أن يطير منها فى هذا الفضاء .. والسكون . والقت برأسها فوق صدره .. وراحت تدندن بمقاطع اغنية حبيبة الى قلبيهما .. وكانت دقات خطواتهما فوق الشارع الطويل وهى النغم الوحيد فى هذا السكون الذى يحتل جزءا منه مجموعة من السيارات المتراصة وقد التصق داخلها رجل وامرأة .. يتراقصان بالهمسات .. والكلمات .. وأحس نادر برجفة تنتاب فريدة ..

- ماهذا ؟

- لاشئ .. لقد اشتد الريح ..

- فعلا ..

وخلع نادر السويتر الذى كان يرتدى واحاط فريدة بذراعيه وكأنه يحتضنها .. وهى منكمشة داخل صدره ..

- رفقا بالناس يا نادر ..

- أين هم الناس .. لقد حشرتهم الرياح داخل السيارات..

وقبلها فى وجنتها ..

- نادر لا تكن مجنونا ..

- ولماذا لا أكون مجنونا ..

- هيا بنا للسيارة ..

- بيتنا المتنقل الحديث ..

- ياقلبى ..

- سبقتنى فى الكلام .. ولكن هل رأيت تلك العمارات .. العمارات .. العمارات .. وهذه الجحور المؤلفة بالآلاف ومع ذلك يقولون لنا كل يوم .. لامكان .. لاشقة .. لاجحر ..لا..لا.. لماذا لايقام معسكرات من الخيم .. لامثالنا .. لتكون بيوتا لنا .. نمارس فيها حبنا الصادق بينما الآخرون .. يمارسون لعبة الثراء .. واقتناء الأرانب ..

- أرانب ؟

- نعم ياحبى .. أرنب فى اقتصادلعبة الثراء يساوى مليونا من الجنيهات.. من ذبيحة قلوب العاشقين الملايين من امثالنا ..

- لقد جئنا الى هنا لنستريح قليلا من كثرة البحث عن شقة .. لاداعى للحديث الآن .. دعنا نتأمل روعة الله .. فى القمر .. فى هذا الهدوء ..

- امنيتى أن أجد جحرا فى المقطم .. أنعم فيه معك بهذا الهدوء .. بعيدا عن طاحونة قلب القاهرة . التى طحنت كل ما هو جميل فى نفوسنا ..

- قل .. يارب ..

- لا أستطيع ألا أن اقول يارب ..

- وسمعا اذان العشاء .. يحتضن الهدوء وتنقله الرياح الى أذن آلاف .. الآلاف ..

وقال نادر :

- هيا بنا لنذهب لُبرج الجزيرة .. لنرى وجها آخر للقاهرة تحت الأضواء .. وقد وعدنا صديقنا سعيد.. المشرف على جمعية المقطم للإسكان بالعثور على شقة تناسبنا .

ولم تجب فريدة ، فهى تود ألا تترك المكان .. وأن يظلا هكذا مزروعين كشجرتين باسقتين رمزا للحب فوق المقطم .. يظللان العشاق وقت الظهيرة .. فقد زحف اليأس الى قلبها فى لحظات شك من عدم العثور على شقة حبهما .. ولسعتها ألسنة الأهل والأقارب كلدغات العقارب لأن نادر لم يعثر بعد على عشهما الوردى .. فقد طالت بهما الأيام .. لكنها كانت أياما .. حفرت ذكرياتها الحلوة فى قلبيهما أجمل سطور قصة حب دافئة .. أمام اعاصير الحياة المادي العاتية .. وسارت فريدة.. وهى لا تدرى كيف تسير ، ونادر يكاد يعتصرها فى حضنه .. وقد احست بالدفء كله من حنان قلبه يغمرها .

وانطلقا بالسيارة عائدين .. فى نفس الطريق الحلزونى .. والظلام يلفهما من كل جانب .. والسيارة تسير ببطءمنحدرة الى اسفل المقطم ، وهى تهمس فى أذنه .. بعد أن دغدغ الشوق اليه كل أحاسيسها .. وقبلته قبلة خاطفة فى أذنه .. قائلة :

- حقيقى .. ليس لى فى هذه الدنيا .. الا انت ..

- أنا بابا .. أنا اماما .. أنا أحبك .. أنا فارسك .

- يافارسنى ..

اقتربت السيارة من مزلقان شارع مجرى العيون ، وكانت عشرات السيارة واقفة فى الطريق لاتتحرك بسبب اعمال الحفر لإقامة كوبرى جديد فوق المزلقان .. والسيارات واقفه لا تتحرك .. الا ببطء .. السلحفاة وقال نادر :

- لابد أن يكون فى كل سيارة مخدة للنوم .

- لاتتسرع ..

- أن هذا البطء يفقد الإنسان قدرته على الصبر .

- ان هذا المزلقان خطر .. القطار يأتى مسرعا ..

- وأين هو القطار .. وجرس التنبيه لايدق .. فلماذا الوقوف . أن السيارات تكاد تحتك ببعضها .

- الصبر ..

- سأصبر حتى يعجز الصبر عن صبرى ..

وتحركت السيارات ببطء السلحفاة مرة أخرى حتى اصبحت سيارة قائد المرور بالقرب من شريط القطار .. وسمع نادر قائد المرور وهو يستدعى الشرطى المكلف بحراسة المزلقان ويقول له :

- لماذا تتعطل السيارات ..

وقال الشرطى بعد أن أدى التحية للضابط ..

- السيارة الموجودة بعد المزلقان .. قد غرست فى المياة المحيطة بالكوبرى ..

- حاول أن تساعدهم ..

- حاضر يافندم ..

وذهب الشرطى .. إلى السيارة المتعطلة .. ليساعد ركابها فى دفعها الى الأمام وتحركت سيارة قائد المرور الى الأمام .. عابرة شريط القطار .. تحرك معه نادر بسيارته وصاحت صابرين :

- لاتتحرك يانادر .. إن القطار قادم ..

- لاشئ قادم ..

- أن جرس التنبيه يدق ..

- ولكن سيارة قائد المرور تحركت وسأقف بجانبها

- ارجوك أن تسمع الكلام ..

وتحرك نادر بسيارته .. ولكن سيارة قائد المرور سدت أمامه الطريق الضيق .. ووجد نفسه واقفا على شريط القطار .. وجاء الشرطى صائحا ..

ارجع الى الوراء فورا ..

وعاد نادر بالسيارة الى الوراء .. ولكن سيارة خلفه سدت المكان .. فوجد نفسه فوق شريط القطار .. وصاحت فيه فريدة ..

- قلت لك لا تتحرك .. ولا تسمع الكلام ..

وفتحت باب السيارة وصاح الشرطى .. والذعر فى عينيه .

- قلت لك ارجع الى الخلف فورا .. القطار قادم ..

- لامكان خلفى

- تقدم الى الإمام بسرعة .. بسرعة .. القطار قادم وتحرك نادر بالسيارة قليلا الى الأمام

- يا أستاذ .. يا أستاذ انك ما زلت فوق الشريط .. القطار قادم ..

شل تفكير نادر .. فلا يستطيع أن يتحرك الى الخلف . والمكان أمامه ضيق .. وسيارة قائد المرور قد سدت الطريق امامه .. وجزء من السيارة ما زال فوق الشريط .. والقطار يعوى بصفارته .. قادما بأقصى سرعته والموت يدور بين

عجلاته .. مارد .. وأشعة الكشاف الأمامى كأنها عين مارد .. غاضب .. ونادر لايلتفت يمينا ولايسارا .. ولايدرى بما يحدث ..

وفى هذه اللحظة .. فتحت صابرين باب السيارة بسرعة وقفزت خارجها .. هاربة من الموت .. والشرطى يضرب بيديه مقدمة السيارة .. صارخا .. القطار .. القطار .. تحرك يا أخى .. تحرك الى الخلف .. .. ويتحرك نادربالسيارة الى الخلف وهو فوق القضبان .. ويصرخ الشرطى .. يا أستاذ .. يالطيف .. تحرك الى الأمام .. الى الأمام ..سيفرمك القطار .. ونادر تحجرت عيناه .. وتقلصت يداه فوق عجلة القيادة .. والسيارة امامه تسد الطريق .. ورأى سيارة قائد المرور تتحرك قليلا .. فاندفع نحوها .. واصطدم بمؤخرتها وبالحاجز الخشبى المقام حول الكوبرى .

وغطى ضجيج القطار ، وعويل صفارته .. والموت الذى يدور فى عجلاته .. على صرخات الناس الذين وقفوا كالأصنام يشاهدون ما يحدث .. وأغمض الشرطى عينيه بيديه .

لحظة رهيبة مرت .. بمرورالقطار . ونادر فى السيارة ، وقد تجمدت الدماء فى عروقه .. ومر القطار وليس بينه وبين مؤخر السيارة سوى مسافة شبر واحد .

وهجم شاب من الواقفين على نادر يقبله .. قائلا :

- كتب لك عمر ..يابيه .. أى خدمة .. لو كنت مكانك .. لبصقت على من كانت معك فى السيارة .. وتركتك ..

- شكرا ..شكرا .

وتحركت السيارة فوق المزرقان المغطى بالمياه .. وتاه نادر بسيارته .. وسط ضجيج الناس .. وعويل صفارات السيارات ..

ورأى فريده واقفه متجمدة .. وصرخ فيها ..

- ادخلى السيارة ..

وظلت واقفه كتمثال الثلج .. وصرخ فيها

- فريدة .. ادخلى السيارة : هيا . هيا ..

وتحركت كالآلة .. ودخلت السيارة ، وصوت كلاكسات السيارات تعوى .. وتزمجر .. لكى تتحرك باقى السيارات .. وتحرك نادر بسيارته وسط السيارات .. واقترب من شارع قصر النيل .. ذاهبا الى ميدان التحرير .. ليذهب الى برج الجزيرة .. والصمت اخرس فريدة .. واخرسه هو أيضا ..

فوق برج الجزيرة

وتحركت السيارة وبداخلها تمثالين لا ينطقان بكلمة " نادر " .. وهو يسوق السيارة بعد نجاته من الموت بأعجوبة عند مزرقان مجرى العيون ، وكاد القطار يفرمه فوق القضبان لولا أنه تحرك فى آخر لحظة ، وصدم سيارة الشرطة التى كانت واقفة هى الأخرى فى طابور السيارات التى لا تتحرك . وبجانبه "فريده " التى فتحت باب السيارة لتنجو بحياتها بعد أن صرخت فيه كثيرا أن يترك قضبان القطار .. الذى كان قادما يعوى .. ويصرخ صرخة الموت . ونادر فى حيرة .. حاول أن يرجع ولكن السيارات خلفه سدت الطريق . وحاول أن يتحرك الى الأمام ، ولكن سيارة الشرطة تسد الطريق . لولا أنها تحركت فى آخرلحظة.. كانت هى التى انقذته من الموت .. ولم يبعدمترا واحدا إلى الأمام مؤخرة سيارته عن القطار سوى شبر واحد فقط . وصرخ الناس الذين كانوا واقفين .. مذعورين وغطى شرطى المرور وجهه بيديه حتى لايرى تلك المأساة .. والقطار يفرم السيارة ومن بداخلها .

وتدخلت العناية الإلهية ، لإنقاذ نادر وقد انزرع فوق كرسى القيادة بلا حركة .

تحكرك نادر بالسيارة إلى ميدان التحرير ، ثم صعد إلى كوبرى اكتوبر .. للذهاب الى "برج الجزيرة " .. لتستريح نفسيته من ذلك الموقف الرهيب . ويستعيد قواه ، وأحاسيسه ومشاعره ، وقد جف ريقه . وطلب من فريدة أن

تعطيه زجاجة المياه الصغيرة ليشرب بعض الماء .. وقد وقفت السيارة فى احدى الإشارات .

ووصلا الى " برج الجزيرة " .. وصعدا فى الأسانسير بسرعة ، وسط زحام الزائرين . كانا يتحركان كالدمى ، المنومة مغناطيسيا . وأخيرا .. وقفا مع الآخرين يشاهدان القاهرة .. بأنوارها .. بانوراما رائعة .. لكل معالم القاهرة .. وأنوار المقطم تتلألأ من بعيد ، ومآذن جامع السلطان حسن والرفاعى ومسجد ابن طلون .. والأزهر .. وأنوار الفنادق الكبرى تتلألأ .. فوق مياه النيل .. الميريديان ، وفندق سميراميس ، والنيل ، والجزيرة وساعة جامعة القاهرة .. وغيرها .. وأنوارالسيارات تتسابق وتتوقف .. الأنوار الحمراء .. الأنوار والكشافات البيضاء وتمتم نادر ببعض الكلمات ..

- ياه .. سبحان الله على قدرته .. جعلنى أعيش لأرى هذه البانوراما .. للقاهرة الخالدة.

والتصقت " فريدة " به .. وأمسكت بيده اليسرى .. والدموع تترقرق فى عينيها منذ وقع ذلك الحادث الرهيب فوق مزلقان مجرى العيون .

ونظر اليها نادر .. ورأى دموعها وهى تترقرق فى عينيها .. ومد يده اليمنى ليمسح تلك الدموع المتحجرة والتى بدأت تنساب على خديها . وقال :

- الحمد لله .. الحمد لله .. الحمد لله ..

- الحمد لله الذى انقذك .. ولم تسمع صراخى ..

- أشكر الله .. لأنه جعلنى أعيش للغد .. لكى أسافر الى بيته العتيق غدا فى المساء . . فى أول عمرة لى .. ولكى أزور الحبيب المصطفى .. صلى الله عليه وسلم

- الحمد لله ..

- الهواء شديد هنا .. فوق برج الجزيرة .. هيا لندخل الى المطعم .. لنشرب شيئا ..

وقالت فريدة : المكان هنا أدفأ من الخارج ..

وقال نادر : هيا .. هناك مائدة خالية بجوار النافذة الزجاجية ..

يقولون إن هذا المكان يدور .. لكى ير ى الجالسون كل أنحاء بانوراما القاهرة

قالت فريدة فى اندهاش ، لأنها المرة الأولى التى تزور هذا البرج : ياه .. مدهش .. لن أنسى هذا اليوم ..

قال نادر : الحمد لله .. حققت لك بعض الأمانى .. وعندما أسافر غدا الى بيته العتيق .. سأشترى لك ثوب الزفاف من المدينة إن شاء الله .. وأشياء كثيرة ..

ووضعت فريدة وجهها بين كفيها ، تخفى دموعها .

قال نادر : فريدة .. فريدة .. نحمد الله على كل ما يحدث .

الحمد لله .. الحمد لله ..

هات مفكرتك الزرقاء .. لأتابع كتاباتك .. ونبض قلبك .. حتى يحضروا لنا المشروبات .. ولتستريحى مع نفسك قليلا .. وتشاهدى مناظر القاهرة الليلة .. وتستعيدى ذكرياتنا فى كل مكان ..

وأخذ نادر المفكرة الزرقاء .. التى تسجل فريدة فيها مشاعرها ، ونبضات قلبها .. بين لحظة ولحظة .. وبين يوم ويوم .. وبين مساء ومساء .. وقرأ :

ليتنى كنت نظارتك البيضاء ..
وليتنى كنت النرقة التى احتمت بحنانك
وليتنى القلم الذى ينعم بقبضة يديك.
ومنديلك لامتص حبات فكر جبينك
وليتنى .. وليتنى .. وليتنى
حتى أنعم بقربك
وأكون الفكر الذى يكتب
والعين التى ترى ..
والورقة التى تحمل أسرارا
حتى أكون منك اليك
لاتعرف يدك من فكرى
ولاعينيك من بصرى
ولا سرك من سرى
ليتنى سنة فى فمك ، تهرس لك الطعام
ليتنى رمش فى عينيك يجلب لك الأحلام
ليتنى شعرة فى رأسك تولد لك الإلهام
ليتنى .. وليتنى .. وليتنى ..

ورفع نادر عينيه من فوق المفكرة الزرقاء ، ونظر الى فريدة .. فوجدها ساهمة تنظر الى اضواء القاهرة من فوق برج الجزيرة .. الذى يدور بنا قليلا .. حتى نرى كل شئ .. ولم يتكلم .. وعاد الى المفكرة الزرقاء .. يتصفح النبضات .. ووقع نظرعلى صفحة ، وذكرت فيها تاريخ ٣٠/٨/ ١٩٨٠ . وكتبت تقول :

" هذا اليوم يحمل ذكرى فى نفسى .. تميزت هذا العام عن أى عام قبله .. إنه يوم ميلاد أمى .. هذا اول عيد لها فى السماء وسحابة أحزان فى الأرض : ولكن هدية الله لى فاقت هدايا الأعياد .. خطواتى فى طريق المستقبل الجديد .. تدفعنى فيه نظرات أمى . خشيت أن تنهار مقاومتى .. فكم تعودت أن أروى لأمى كل جديد .. لكن هذه المرة لم ارو لها حديثى مواجهة . كان القلب مفعما بالأحزان الا من بارقة الأمل الحبيب . وانهيت تساؤلاتى .. ووقفت انتظره. هل حقا تنتظرى بتلك الأحاسيس . هل انت من جذب سمعها صوت العصافير؟ الى متى تنتظرين قدومه ؟ .. هاهو آت من بعيد .. رباه .. ما هذا ..ليس هو .. أو يخطئ القلب .. إن أخطأت العين .. أم لهفة الشوق للقياه ..؟

صبرا .. هاقد أتى موعدنا .. إنى أسمع صوته من بعيد .. إنه هو .. أى صباح مشرق .. وأى معزوفة اسمع ..أو يستطع القمر فى الصباح ؟ .. أم معجزة ؟ وشمسين معا .. أم إله الحب فى ثوب البشر .. ليلة قدر فى غير رمضان . هو أنت ياحبيبى .. انت القمر الفضى الذى أنار لى الطريق والشمس المشرقة التى أذابت جليدة الحياة .

رسول الحب .. لطاقة قدر .. فتحت فى حياتى وهبتنى كلماتك .. عصارة فكرك .. ونبضة قلبك .. ولكنك تبخل علىّ بتكرارها .

أنا من تريد أن تحتمى بك من نفسها . تجد فى عينيك ابواب الأمل .. فى صدرك مأوى ظل سرابا فى صحراء الحياة . أنت الذى تحمينى من نفسى .. من مجتمعى .. افكارى .. مبادئى .. أنت معى فى نفس طريق الحياة .. مبادئ تحطمت على صخرة معرفتك لإرادة يعلمها الله . كنت كمن يمسك بمطرقة بها الهواء . ولم احم سوى قوتى وذراعى . إن المجهول دائما يخيف . نحن البشر نخاف الموت . ولأننا لم نخبر عنه شيئا ، ولو سافر احد وعاد ، وروى لنا ما رآه .. لما خفنا منه هذا الخوف .. وخوفى من المجهول يفقدنى حلاوة الواقع .. فاعذرنى .. لا أطلب منك سوى أن ترأف بى .. وبأفكارى إن ظلمتك أو جاءت على غير ما توقعت .

لولم أحبك .. ما كتبت الذى أكتبه .. إن النبضة والشعور القريب الذى أشعر به هو الذى يأتى بتلك الأفكار .. ومافكرت هكذا . كلما هاجمتنى نفسى .. كلما علمت أنها لا تقوى على تحمل الجديد .. وأنها تشعر أن الضيف القادم سيقهرها ، لذلك تدافع عن نفسها بتلك الأساليب .. ربما انتصرت أو هزمت ولكنى اعرف انها هزمت منك .. ومن أفكارك .. حتى قدرى يساندك ..

الوقت يمضى معك كومضة ضوء .. ما إن اتركك حتى أفكر فى ميعادنا القادم . وبين الإثنين عمر ضائع تحسبه لحظات اعيشه معك فى الخيال .. الا يغفر لى هذا بعض تلك الأفكار.

إنساب الى سمعى صوت واعدتنا اليومى .. يحدث بحديث ليس بهذا وقته .. فهى تقول " حسيبك للزمن .. " لا لن اتركك .. لا للزمن ولا

لشئ آخر .. شيئا احسه بعد لقائنا امس . او تعرف لقد تركتك ومضيت ، ولم أحاول النظر خلفى لأراك تمضى بعيدا ..

اتعرف لماذا ؟ لأنك كنت الى جوارى تسير معى .. وحدنا . لا أرى فى هذا الطريق أحدا سواك . لذلك لم انظر خلفى .. كنت احدثك .. أجرى معك .. أسمع ضحكتك .. لدعابتى .. وأرى خوفك المتلهف على .

كنت أريد أن تسمع الدنيا كلها ضحكتى .. أن تشاركنى سعادتى .. لا أريد أن ينتهى الطريق لكى تظل معى .. ذراعى تتأبط ذراعك .. نضحك .. ونمزح .. ونلهو ..

نسير على سحاب مُدّ لنا حتى سرنا فوق رؤوس الشجر .. كانت هذه أحاسيسى .. لذلك أغلقت المذياع ، وأدرت صوتا آخر .. رد لى حياتى . " انت ماليش غيرك " .. ليكن هذا ما اريد أن أقوله لك . لا يهمنى ماذا تريد أن تقول أنت أو أريد أنا منك . كل ما يهمنى أن أبثك هذه الأحاسيس التى أحسها وأشعرها . وظللت استمع لها مرة أخرى . ثم قمت الى المذياع كى أهديك الأغنية الثانية فى لقائنا المسائى .

وبكل ما هو صادق فى مشاعرنا ، أنى وجدت ما أردت أن أهديه اليك .. هو نفس الشريط الذى أدرته قاصدة حتى يصلك .. وكما رددته واعدتنا عن لسانى كانت " حياتى " أنت ماليش غيرك ..

وقطع عليه لحظات التأمل فى مفكرة فريدة الزرقاء ، صوت " الجرسون" وهو يقدم لهما المشروبات وعادت فريدة من لحظات التأمل فى بانوراما اضواء القاهرة ، الى نادر ، وهو يطوى صفحات المفكرة ،

ويعطيها لها ، وهى تحاول أن تعد له فنجان الشاى وتعد له قطع الجاتوه . وسمعته :

- ما هذه المشاعر الحلوة .. التى تحيطك يافريدة .. ياحب الحب .. ماذا كنت تفكرين .. وانت غارقة فى مشاهدة بانوراما ليل القاهرة ..

- كنت أطلب من الله .. أن يقوينى على بعادك .. وأنت ذاهب الى بيته العتيق . وزيارة الحبيب المصطفى .. إن كل يوم لا أراك فيه .. كأنه عام .. كيف سأحتمل بعادك يا نادر ..

- إنها أول مرة .. وقد دعانى الله الى بيته الحرام لأستحم وأغسل اتربة ستة وأربعين عاما من عمرى .. وأدعو الله أن يحقق أمانينا ..

- إنى خائفة يا نادر ..
- تخافين ؟؟ كيف ؟ والله يرعانا .. لا بد أن نحمد الله ..
- طبعا نحمده .. ولكنى ضعيفة . لا أحتمل بعادك ..
- كيف ابعد عنك .. وأنا فى حضنى قلبك .. إن هناك الكثيرين يعيشون مع بعض كالغرباء .. لايحسون ببعضهم وكأنهم اشباح ..

وترقرقت الدموع فى عينيها وانسابت على خدها .. وأمسك بيديها .. واحتضنهما فى كفيه . وقال لها .

- هيا بنا .. لقد تأخرنا ..

- لا أريد أن أقوم من مكانى .. أطلب من الله أن نظل هكذا الى الأبد .. يارب ..يارب..!!

لحظات حب

إلهية

وصل نـادر إلـى ميناء جدة ، بعد رحلـة يوميَن فـى العبارة وهـو يتمـتـع بالبحر وبقراءة القرآن الكريم ، وقد تعرف على ربـان العبارة الكبيرة القبطان أحمد ، الذى رعاه ، وقد حـج اكثر من مرة ، وشرح له كل شئ عن الطواف بالكعبة ، وارتـداء ملابـس الإحـرام ، وأسـكنه فـى غـرفة قريـبة ، لتـتحول الـى صـالون الـتقى فيه بضباط العبارة ، وببعض المعتمرين ، وفوجئ بأحدهم يدعوه للإقامة معه فى بيته القريب من الكعبة فى منطقة (الحجون) لآن زوجته وأولاده كـانوا قادمين معـه لكن تأشيرات قد تأخرت . وكانت مفاجأة لنادر ، فقد شمله الله برعايـته ، وبعنايـته منذ أول لحظـة ركـب فيها العبـارة . وفـى الوقت المحـدد ، أعلن الربان فـى الميكرفون ساعة قيام كل الرجاب المتجهين لآداء العمرة . وفى منتصف الليل اعتمر نـادر ، وصـلى ، ودعا الله العلىَ القدير " اللهم إنى نويت العمرة ، فيسرها لى ، وتقبلها منى يا رب العالمين " .

وفـى يـوم ٩ أغسطس .. والشمس الحارقة ، والجو الحار وصلت العبارة الـى جدة ، واضـطر الـى صلاة الظهر على أرض الميناء ثم ركب الحافلة المتجهة إلـى مكـة ، وهـو يـرتل : " لبيك اللـهم لبيك .. لبيك لا شريك لك لبيك .. إن الحمد والنعمة لك والملك .. لاشريك لك " .

وأمـام الكعبة المشرفة .. تعلقت عينا نـادر .. بالكعبة لأول مرة فى حياته ، وانهمرت دموعه .. وتخاذلت ساقاه .. فسجد على الرخام الأبيض شاكرا .. مصليا .. حـامدا .. لـم يصدق عينـيه أنـه واقفا امـام بيت الله الحرام .. وأنـه استضافه فى بيتـه العتـيق ، وحقق لـه أمنـية العمـر .. فهـى نـهايـة المطـاف فـى رحلـة طويلـة .. طويلـة .. طويلة .. فى دنيا البشر .

نسـى نفسـه .. مـن يكـون .. ومـن هـو .. الا عـبد فقـير .. مـثقل بـالذنوب والخطايـا .. فـى حضـرة الـتواب الرحـيم .. ملـك الملـوك .. رب العـرش العظـيم .. يهـدى مـن يشـاء .. يعـز مـن يشـاء .. ويذل من يشاء .. إنـه على كل شئ قدير .. إنمـا أمره إذا أراد شيئا .. أن يقول لـه كن فيكون .. سبحان الله .. فتح صدره ودعا نـادر الى بيتـه العتيق ليفنى فى كرمـه اللانـهائـى .. وعفوه الذى توجه بـه ..

وكـبر .. وطـاف مـع الطـائفيـن حـول الكعبة .. يدعـو .. اللـهم إيمانـا بك .. وتصـديقا بكتـابك .. ووفاء بعهدك .. واتباعا لسنة نبيك وحبيبك .. محمد صلى الله عليه وسلم .. اللهم إنى أسألك العفو والعافية .. والمعافاة الدائمة فى الدين والدنيا والآخـرة .. والفـوز بالجنـة .. والنجاة مـن النـار .. ربـنا آتـنا فى الدنيا حسنة ، وفى الآخـرة حسنـة ، وقـنا عـذاب الـنار .. وادخلـنا الجـنة مـع الأبرار ياعزيز ياغفار .. يارب العالمين .

وأمـام الحجـر الأسـعد .. تملكت نـادر قـوة رهيبة ، فزاحم الذيـن تكدسوا أمامـه .. حتـى وصل إليـه .. طائرا .. وقبلـه .. ومسح وجهه فى هذا العطر الإلـهى .. وهـو سـر مـن أسـرار الإلـه العظـيم . وأسعده الله بتقبيل الحجـر الأسـعد فى كل شوط من الأشواط السبعة حول الكعبة .. داعيا .. " اللهم عودة يارب العالمين " .

وفى مقام إبراهيم عليه الصلاة والسلام صلى الله عليه وسلم ودعا ربـه :

" اللهم إنك تعلم سرى وعلانيتى ، فاقبل معذرتى ، وتعلم حاجتى ، فاعطنى سؤالى ، وتعلم مافى نفسى ، فاغفر لى ذنوبى ، اللهم إنى أسألك إيمانا يباشر قلبى ، ويقينا صادقا حتى أعلم أنه لا يصيبنى إلا ما كتبت لى .. رضا منك بما قسمت لى ، أنت وليى فى الدنيا والآخرة .. توفنى مسلما .. وألحقنى بالصالحين ، اللهم لا تدع لنا فى هذا المقام ذنبا إلا غفرته ، ولا هما إلا فرجته ، ولا حاجة إلا قضيتها ، ويسرتها .. يارب العالمين .. آمين .. آمين ..

ومن ماء زمزم .. شرب ، وشرب .. وشرب . وفى حجر إسماعيل عليه السلام . صلى شاكرا .. ودعا : " اللهم أنت ربى لا إله إنت ، وأنا عبدك .. وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت .. أعوذ بك من شر ما صنعت .. فاغفر لى .. فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت .. اللهم إننى أسألك علما نافعا ورزقا واسعا وشفاء من كل داء .. برحمتك يا أرحم الراحمين .. آمين .. آمين ..

وفى الصفا والمروة .. لم يحس بأى تعب أو شقاء وهو يهرول .. ولسانه يردد : " إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو أعتمر ، فلا جناح عليه أن يطوف بهما .. ومن تطوع خيرا .. فإن الله شاكر عليم " .

وقال كما قال الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم : " اللهم أغفر وارحم ، واعف عما تعلم ، أنت الأعز الأكرم ، واهدنى السبيل الأقوم " .

وظل يسعى بين الصفا والمروة ، مع الآلاف التى تسعى .. كالملائكة .. شاكرة لله عز وجل ، مستلهمة قصة هاجر وإسماعيل ، وكيف تركهما سيدنا ابراهيم عليه السلام فى هذا المكان النائى من الصحراء بأمر من الله سبحانه وتعالى .. لحكمة إلهية .. وبكى إسماعيل عطشا ، فهرولت هاجر .. هنا .. وهناك .. كما يسعى ملايين الحجاج والمعتمرين بين الصفا والمروة . باحثة عن نقطة

ماء لتروى بها ظمأ إسماعيل الرضيع .. ومن تحت قدميه تفجر نبع .. زمزم .. الذى يرتوى به ملايين حجاج بيت الله العتيق .. وماء زمزم .. سر من أسرار إله الكون . ورب هؤلاء البشر . . سبحان الله .. فمهما اوتى الإنسان من العمل والمعرفة .. مثله كمثل الطائر الذى يرتوى من بحار فيض الله .. ولن يرتوى من بحار فيضه الا قطرات صغيرة .. صغيرة .. ويظل عطشا الى مالانهاية .. " وماأوتيتم من العلم إلا قليلا " .

خواطر كثيرة .. وصور أكثر تتزاحم فى عقل وصدر نادر وهو يسعى بين الصفا والمروة بين آلاف من هؤلاء البشر الذين دعاهم الله الى بيته الكريم . وظل يترنم بتلك الكلمات " عاجز أنا يارب الكون .."

عن معرفة اسرار .. ورموز مناسك هذه الدعوة فى رحاب بيتك العتيق .. وفى مقام إبراهيم .. وحجر إسماعيل .. وحجرك الأسعد .. وماء الحياة .. فى زمزم .. وخطوات السعى والهرولة .. بين الصفا والمروة .. أحمدك يا رب .. على أن هيأت لى سبيل الضيافة .. "

وجلس نادر أمام الكعبة الشريفة بجوار مقام إبراهيم مبهورا ، مأخوذا .. لقد وفق الله سبحانه وتعالى سيدنا إبراهيم عليه السلام الى دعوة الناس إلى عبادة الله الواحد الأحد .. والى نبذ الأصنام والأوثان التى اتخذوا منها آلهة لا تضر ولا تنفع ..

وعن الحجر الأسعد قال الرسول المصطفى صلى الله عليه وسلم ، " الحجر الأسود عين الله فى أرضه " وقد قبله الرسول الكريم ..

اما الملتزم .. فهو مكان اسفل باب الكعبة ، والدعاء فيه مستجاب .. وفى هذا المكان وقف نادر كما وقف ملايين المؤمنين .. فلم يشعر بنفسه ولا بجسده ..

ولا من يكون .. إلا ذرة من ذرات الكون .. تطوف .. وتطوف .. مسبحة بحمد الله القوى الجبار .. الغفور الرحيم .

فى هذا المكان الطاهر تعلق نادر بأستار الكعبة وصدره ملتصق بها .. غاسلا .. نفسه المثقلة بجبال الذنوب .. يسبح فى بحر دموعه ..

فى تلك اللحظة النورانية :

حيث تلاشى وجوده وإحساسه ..

فى نور العلى القدير ..

نسى كل شئ إلا اسم الله .. ورسوله الحبيب ..

داعيا ربه أن يغفر له الذنوب ..

يا إلهى .. يارب القلوب .. يا غفور . يارحيم ..

وأن يحقق أحلامه مع فريدة .. إن كانت هذه الأمانى خيرا له ولها ..

ولم يترك المكان الا وقد شعر أنه اخف من الطائر طيرانا .. يسبح فى ملكوت لا نهائى لا يعلم مداه إلا الله سبحانه وتعالى ..

كان قطرة صغيرة .. صغيرة ..
فى بحر فيض الرحمن ..
رأى الله بقلبه الملتصق بكعبته الطاهرة ..

ولم ير شيئا إلا نور الرحمن سبحانه وتعالى يغطى الكون بأسره .. وكأنه يسمع هاتفا يقول له:

ياعبدى ..

لاتيأس منى ، فتبرأ منك ذمتى ..

كيف تيأس منى ، وفى قلبك سفيرى ومتحدثى ؟

ياعبدى ..

إذا قمت عندى جزت الكونية ..

فما أتاك فلن تفرح به ، وما فاتك فلن تأسى عليه ..

لأنك عند المكون .. فاستغنيت عن الكون ..

ياعبدى ..

إذا عرض لك أمر .. فقل ربى .. ربى ..

اقل لبيك .. لبيك .. لبيك ..

وصلى صلاة لعشاء فى الحرم .. والطواف حول الكعبة لاينقطع طوال النهار والليل . وأحس كأنه ولد من جديد ، لم يحس بتعب رحلة السفينة ، ومعاناة الخروج من ميناء جدة .. والسفر الى مكة مباشرة .. ولم يشعر بأى شئ من هذا الإرهاق .. بل شعر بالسعادة .. والراحة تسريان فى انحاء نفسه المعذبة ، وقلبه يرقص من فرحة ضيافة الرحمن ، وعيناه تكتحلان برؤية الكعبة الشريفة .. ولسانه لا يكف عن شكر الله ، والصلاة على افضل خلق الله .. محمد صلى الله عليه وسلم ، وعقله اغلق كل نوافذ التفكير فى الحياة الدنيا ، لكى يستوعب دقائق رحلة العمر فى ضيافة الرحمن .. بعد أن كان يسجل صور الحياة فى انحاء بلاد الله ...

وخرج من الحرم ، وهو لا يكاد يصدق أنه فيه . ولا يكاد يصدق أنه فوق الأرض التى عاش فيها الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، وهو فى حيرة .. هل هو حقيقة فوق هذه الأرض الطاهرة ولا يجد الراحة الى تكرار الحمد والشكر لله العلى القدير ..

لحظات حب

مع الحبيب

استقل نادر الحافلة من مكة الذاهبة الى حيث يرقد الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم ، بعد أن أدى رسالته ، وأن مكة هى أحب ارض الى الله ، وهى أحب الأرض إليه ، ولوى أهلها اخرجوه ما خرج . كان جو شهر اغسطس حارا جدا ، وكان نادر ذاهبا يوما الى الكعبة وقت الظهيرة ، وكل المحلات أغلقت ابوابها ، ويعيش اصحابها فى التكييف ، وبينما هو سائر فى شبه الظل ، يسبح الله ، شم رائحة شياط حريق ، وتلفت حوله وهو سائر ، فلم يجد شيئا يحترق ، ورائحة الشياط مستمرة ، وأخيرا اكتشف أن شعر رأسه يكاد يحترق ، ولم يلبس فوق رأسه شيئا ، كما يلبس أهل مكة ، لأنه كان محرما ، وذاهبا لآداء عمرة .

انطلقت الحافلة فى هذا الجو الخانق الحار الى المدينة المنورة .. والتكييف داخل الحافلة ، وتمر فى طريق صحراوى .. بعد أن مرت بجبال مكة المختلفة .. وصاحت إحدى الراكبات فى السائق ، أن يزيد من درج التكييف لأنها تكاد تختنق من الحر ، فصاح فيها الحاج قائلا :

" إن الرسول صلى الله عليه وسلم ، كان يقطع هذا الطريق ومعه صاحبه ابو بكر والناقة ..ويمشى على قدميه ، وأهل قريش يطاردونه ليقتلوه ..

يـا سـابحان الله .. ياسبحان الله إن الطريق مـن مكـة الـى المدينـة اكثر من ستمائـة كيلو .. فلكم فى رسول الله اسوة حسنة ..

واستعاد نـاد مـا قـرأه مـن سـيرة الرسـول الحبيـب وكـم واجـه مـن الآلام ، والمشقات ، والمصاعب .. ما جعل نادر يستخف بما يمر به من آلام ، وأوجاع . فكم قاسـى الحبيب المصطفى .. وتـألم أشد الألـم ، وهو يدعو الكفـار الـى عبادة الواحد الأحد ، مـا أعظمـك ياحبيب الرحمن ، وشـفيعنا يـوم القيامة والفرقان . وتوالـت صـور كفـاح وقتال الحبيب .. حتى أذن الله لـه ، بالهجرة الى المدينة التى أنارت العالم .. وما زالت تنيرة حتى قيام الساعة..

وعندما وصلت الحافلة الى المدينـة ، هرع نـادر الى مسجد الرسول وليس معـه الا حقيبـة صـغيرة جدا فيها بعض حاجياته . ودخل المسـجد ، ووقف أمـام الشـاهد .. قـائلا .. " السـلام عليكم يارسـول الله .. وعلـى أبـى بكـر .. وعلـى عمر رضى الله عنهما ".

ولـم يستطع أن يقف ، وتخاذلت قدماه ، وجلس أمام الشاهد مستندا الى الحـائط الـذى أمـام الشـاهد ، وانـهمرت دموعـه .. كالسيل .. وخيل اليـه انـه يرى الرسـول صـلى الله علـيه وسـلم ، والصـبية والغلمـان ، يقذفونـه بالحجـارة فـى الطـائف .. وقد ذهب الـى اهل الطائف ليدعوهم الى عبادة الواحد الأحد .. ولكنهم أبـوا .. بل سلطوا الصبية والرعاع ، ليقذفوا الرسول بالحجارة .. وسال الدم من قدميه .. بل سـال الدم مـن رأسـه الشريف .. وخيل الى نادر أنه واقف يشاهد هذا المنظر الأليم .. والدماء تسيل من رأس الرسول ومن قدميه .. والصبية يطاردونه .. حتى التجأ الى صديقه وانقذه سلمان الفارسى .. وأخذ يضمد جراحه ..

وتذكر نادر دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يدعو ربه الدعاء الخالد : " اللهم إليك أشكو ضعف قوتى ، وقلة حيلتى وهوانى على الناس ، اللهم يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين ، وأنت ربى الى من تكلنى ، الى عبد يتجهمنى ، أم الى عدو ملكته امرى ، إن لم يكن بك غضب على فلا أبالى ولكن عافيتك اوسع . إنى أعوذ بنور وجهك الذى اشرقت به الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا من أن تترك بى غضبك ، أو تحل بى سخطك .. لك العتبى حتى ترضى .. ولا حول ولا قوة إلا بك .." .

وبكى نادر بكاء مرا ، وهى أول مرة فى حياته يشاهد قبر الرسول الحبيب .. وطافت بعقله .. وبنفسه صور حياة الرسول منذ خرج من مكة مهاجرا الى المدينة كما امره الله سبحانه وتعالى .. وعاش مع الأحزان والآلام ، والصعاب ، والمحن .. من أجل إنقاذ الكفار من ضلالهم .. والإنسانية من ضياعهم فى طريق الضلال ..

وفى هذا المكان الذى يرقد فيه الرسول .. بعد أن بلغ رسالة الله .. وأصبحوا الآن بالمليارات .. الى يوم الساعة .. وكانت اللحظات الأخيرة للرسول .. استعدادا للقاء الرفيق الأعلى فى الجنة . وكان يرى الموت يدنو ، ولم يبق لديه ريب فى أنه لم يبق له فى الحياة الا سويعات ترى ماذا عساه كان يشغل الرسول الحبيب فى هذه السويعات الباقة له على فراق الحياة ..؟

أفكان يستذكر حياته منذ بعثه الله هاديا ونبيا ، وملا لاقى فيها ، وما أتم الله عليه بنعمته ، وما شرح به صوره من فتح قلوب العرب لدين الحق ؟؟ .. أم كان يقضيها مستغفرا ربه متوجها اليه ما لم يبق لديه قوة الإستذكار .. ؟؟

وأنـه فـى يـوم قـائظ شديد الحر من أيام شبه الجزيرة ٨ يونيو ٦٣٢ م ، دعا بانـاء فيه مـاء بـارد كـان يضع يده فيه ويمسح بمائه وجهه. وتوجه الى الله يدعوه : اللهم اعنى علـى سكرات الموت . وقالت عائشة : وكان رأس النبى صلى الله عليه وسلم يثقل فى حجرى ، فذهبت اليه انظر فى وجهه فإذا بصره قد شخص وهو يقول : " بل الرفيق الأعلى من الجنة " .

لقت : خيرت فاختر والذى بعثك بالحق . وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سحرى ونحرى .. ثم وضعت رأسه على وسادة .. وقمت أبكى " .

أمات محمد صلى الله عليه وسلم ؟ ..كلا .. فإنه باق .. إلى يوم الساعة .. ويزداد الذين آمنوا بالله ، وبرسالته ملايين .. الملايين .. الملايين ..

وإزداد بكاء نادر بكاء مرا .. ولايستطيع أن يتحرك من مكانه .. وظل فى مكانه الى أن حان وقت الصلاة لحظات نادرة .. فى حضرة الحبيب المصطفى .. لا تنمحى من ذاكرته أبدا .. ذلك الموق الذى شاهد فيه الرسول صلى الله عليه وسلم لأول مرة .. فى حياته .. وانحفر فى قلبه ، وعقله طوال عمره .. ؟؟

زفاف من نوع آخر ..

وسمع نـادر صوت المضيفة .. وهـى تقـول " اربطـوا الأحـزمة " .. ثـم صوت قـائد الطائرة .. وهو يعلن الإقتراب من ميناء القاهرة الدولى ورحلة موفقة من مطار جدة الى مطارالقاهرة .

وتسرسبت الدموع من عينيه .. فقد غاب عن القاهرة ما يقرب من شهر فى رحلة العمرة .. لأول مرة فى حياته ، واستعاد ذكرياته .. حيث طاف بالكعبة ، واستحم فى دموعه وهو جالس أمام الحبيب المصطفى .. يستعيد أيام آلامه ، فى سبيل الدعوة الى الواحد الأحد ، وقد أحس نـادر باستعادة قوة صحته ، عندما شرب من مـاء زمزم ، وقد استحم بها ، وأحس أنه بدأ يستعيد قوته ، من آلام مرضـه بالوبـاء الكبدى ، وأنـه ظل حبيس الفراش طوال اربعة أشهر .. لايتحرك إلا للضرورة ، ولايأكل ولا يشرب الا شراب العسل النحل فى أكواب من الماء .. ولقد شفاه الله بعد تلك المحنة التى لا تنسى .

ويستعيد ذكرياته ، وهو يطوف ، ويتحول فى اسواق مكة ، والمدينة لشراء فستان الزفاف لفريدة كما وعدها قبل ذهابه الى العمرة ، وشراء قمصان للنوم ، وبعض الأشياء للعروسة وقد دعا ربه فى طواف الوداع حول الكعبة .. أن يحقق الله احلامـه واحلام فريدة فـى العثور علـى عشـى احلامهمـا ، وإذا كان ذلك الزفاف لايحقق أحلامهما ، فلا يجعلـه يتم حتى لا تضيع كل مـا عاشاه فى ذكريات حلوه جميلة ، فى بيوته ، وبيت السيدة نفيسه .

وخرج نادر من صالة المطار ، حاملا حقيبته ، وقلبه يرفرف ويدق بشدة ، فقد عاد الى القاهرة .. ليرى حبيبته فريدة بعد غياب مايقرب من شهر . وقد حرم من رؤيتها وسماع صوتها ، وجولاتهما اليومية المستمرة للبحث عن عش حبهما فى المقطم ، وفى الهرم وفى غيرهما .

واستقل التاكسى ، ذاهبا الى اخته وزوجها وأولادها القريبة من المطار حيث كان يعيش معهما ، بعد انفصاله عن زوجته ، وكان يعيش طول يومه مع فريدة .. بعد أن ينتهى عملها ، وعمله .. أجمل أيامهما .. وخاصة وهما يدرسان الدراسة العليا فى الآثار الإسلامية فى كلية الآثار بجامعة القاهرة . ويتنقلان بين جوامع السلطان حسن ، والأزهر ، والسيدة نفيسة ، وجامع الرفاعى ، وجامع إبن عطاء الله السكندرى فى المقطم ، ومساجد حى الحسين ، وابن طولون .. خطوات .. ولحظات .. لايمكن ان تنمحى من ذاكرته .

واستقبلتها اخته وزوجها وأولادها بالفرحة ، والبشاشة ، ووزع عليهم الهدايا التى أدخلت عليهم السرور ، والفرحة ، وشكر الله كثيرا لأنه وصل سالما ، وصلى العشاء ، ونام فى انتظار الصباح الجديد .. ليذهب الى فريدة ، ومعه فستان الفرح القادم .. وليراها ، فقد اشتاق اليها كثيرا .. واشتاق الى احاديثهما .. وحكايتهما .

وفى الصباح ، هرع نادر بسيارته الى فريدة فى عملها على الكورنيش ، وسأل صديقتها عن فريدة ، فقالت له انها لم تأت منذ فترة لأنها كانت مرضة .. فهرع من فوره الى بيت عائلتها والفرحة جعلته لا يمشى بل يقفز .. بل قفز فوق سلالم البيت .

ودق باب الشقة ، ففتحت اختها ، ونظرت اليه نظرات زائغة ، ووقف ساكنا لا يتحرك ، فلم تقابله بالفرحة ، والسرور وقال له :

- كيف حالك ؟؟ .. كيف حال فريدة ؟؟ .. قالوا لى إنها كانت مريضة ..

وبكت اختها .. وتقهقرت الى الخلف .. فدخل نادر الى الشقة وجلس فى الصالون .. وقد اصيب بحالة ارتباك . وما زالت الأخت تبكى ، وجاء أخوها ، وسلم على نادر ، وكان صامتا .

وقال نادر : هل فريدة بخير.. أننى عائد الآن من العمرة .. كيف صحتها الآن ..؟

قال الأخ والألم يعصر قلبه : لقد رحلت فريدة يا أستاذ نادر .. رحلت .. وبكى ..

وأصيب نادر بالشلل ، وتوقف تفكيره . لم يدر ماذا يحدث ؟؟ والى أين رحلت فريدة؟

وقالت اختها الصغيرة .. لقد حاولت اختى الكبيرة .. أن تزوجها من ابن جيراننا ، ورفضت فريدة ، واصيبت بالمرض .. ودخلنا عليها ذات يوم .. كانت ممددة فى السرير .. كأنها نائمة .. ولكنها رحلت .. رحلت يا استاذ نادر .. وانهمكت فى البكاء ...

وخرج نادر من الشقة ، والدموع قد تحجرت فى عينيه ، ولم يدر ماذا حدث ؟؟ .. وماذا سيفعل بفستان الزفاف الذى يحلم بأن ترتديه فريدة .. وطار بسيارته كالآلة .. الى مسجد الحبيبة .. السيدة نفيسة .. يصلى .. ويصلى .. ويستحم فى بحر دموعه مذهولا .. ثم خرج بسيارته الى قمة المقطم .. ووقف فى مكانهما المعتاد .. وكانت الشمس تقترب من المغيب .. وحولها هالة من الإحمرار والإصفرار .. وكأنه يرى فريدة وهى بفستان الفرح .. فى زفاف من نوع آخر .. وغربت الشمس وهى تلملم خيوطها الحمراء .. ذاهبة الى عالم آخر .. وظل نادر واقفا مكانه كالتمثال..

مؤلفات فتحي الابياري

•دراسات صحفية وسياسـية

•الرأي العام والمخطط الصهيوني	المجلس الأعلى للشئون الإسلامية	١٩٦٩
الصحافة الإقليميـة والتنظيم السياسي	دار الكتب الجامعية بالإسكندرية	١٩٦٩
•القهـيلا	هيئة الكتاب	١٩٧٠
•الصهيونية	دار المعارف(كتابك)	١٩٧٧
•أكتوبر وال١٠٠يوم من أجل السلام	الاستعلامات	١٩٧٦
•صحافتنا الإقليمية والإسكندرية	هيئة الكتاب	١٩٧٦
•صحافة المستقبل والتنظيم السياسي	دار المعرفة بالإسكندرية	١٩٨٥
•الإعلام والرأي العام والقهيلا	دار المعرفة الجامعية بالإسكندرية	١٩٨٥
•الإعلام الدولي والدعاية	ط١ــط٢ ـــ دار المعرفة الجامعية بالإسكندرية	١٩٨٥ ١٩٨٦
•فن الدعاية	هيئة الكتاب	١٩٨٩
•نحو إعلام دولي جديد	هيئة الكتاب	١٩٩٠
•القهيلا وأسرار المذابح الصهيونية	كتاب أمواج	٢٠٠١

•مجموعـات قصصيـة

•بلا نهاية	دار نشر الثقافة بالإسكندرية	١٩٦٦
•قصص قصيرة جداً	دار الكتب الجامعية بالإسكندرية	١٩٧٢
•ترنيمة حب	دار الكتب الجامعية بالإسكندرية	١٩٧٣
•قصة دافيد كوبر فيلد	دار نشر الثقافة بالإسكندرية	٦١- ٧٣
•قلب الحب	دار الشعب	١٩٧٧
•كلمة حلوة	هيئة الكتاب	١٩٧٨
•رحلة صيد قصيرة	هيئة الكتاب	١٩٨٠
•آه يا بلد	مكتبة مدبولى	١٩٨٩
•رحلة حب	مطبوعات المستقبل	١٩٩٢
•عليه العوض	عالم القصة	١٩٩٣
•مؤلفات فتحي الابيارى ج١	هيئة الكتاب	١٩٩٢
•قصص قصير جدا ج١		
•ترنيمة حب		
•مؤلفات فتحي الابيارى ج٢	هيئة الكتاب	١٩٩٣
•رحلة صيد قصيرة		
•آه يــــا بلـــــد	عالم القصة	٢٠٠٢
(قصص وحكايات آخري)		

•كتب في الفكر الإسلامي

•السيدة نفيسة رضى الله عنها	منتصر للنشر	١٩٨٩
•في ضيافة الرحمن	دار الصفوة	١٩٩٢
•موسوعة المحمديات	ج١ هيئة الكتاب	١٩٩٤
•موسوعة المحمديات	ج٢ هيئة الكتاب	١٩٩٥
•موسوعة المحمديات	ج٣ هيئة الكتاب	١٩٩٥
•موسوعة المحمديات	ج٤ هيئة الكتاب	١٩٩٦
•موسوعة المحمديات	ج٥ هيئة الكتاب	١٩٩٨
•محمد صلي اللہ عليه وسلم	هيئة قصور الثقافة	٢٠٠١/٩٩/٩٨
محمد (ص) نبع الحب	تحت الطبع	
•المرأة في القرآن الكريم	تحت الطبع	
•طيف لا يغيب	تحت الطبع	

•رحـــــــلات

•رحلة الأحلام في عالم الأساطير	طوكيو
•رحلة الأحلام في عالم العجائب	تايلاند
•رحلة الأحلام في عالم الغرائب	هونج كونج
•رحلة فوق الأمواج	موانى البحر المتوسط
•أوراق طائرة في أوروبا الحائرة	عواصم أوروبا

• مغامرات ابن الابيارى في العالم الأمريكاني أمريكا

• دراســات نقدية وأدبيــة

• محمود تيمور وفن الأقصوصة العربية	ط١ دار المعارف	١٩٦١
• فن القصة عند تيمور	ط١ دار المعارف	١٩٦٤
• عالم تيمور القصصي	ط٢ هيئة الكتاب	١٩٧٧
• عالم تيمور القصصي	ط٣ هيئة الكتاب	١٩٩٤
• الجنس والواقعية في القصة	هيئة الكتاب	١٩٦٦
• أدباؤنا والحب	ط١ دار الشروق/ط٢ دار المعارف	٧٣ /٩٥
• نبضات القلوب وأدباء الأقاليم	دار الشعب	١٩٧١
• عشرة آلاف خطوة مع الحكيم	هيئة الكتاب	١٩٨٧
• الأم في الأدب	ط١ الدار المصرية	١٩٦٦
• الأم حكايات وقصص	ط٢ كتاب أخبار اليوم	١٩٧٠
• الأم حكايات وقصص	ط٣ هيئة الكتاب	١٩٩١
• الأم حكايات وقصص	ط٤ هيئة الكتاب	١٩٩٤

• روايــات

• رحلة خارج اللعبة	ط١ مطبوعات عالم القصة	١٩٧١
• رحلة خارج اللعبة	ط٢ هيئة الكتاب	١٩٨٢
• رحلة خارج اللعبة	هيئة الكتاب (الترجمة الإنجليزية)	١٩٩٢
• أرنب كالآخرين	تحت الطبع	